المنقذ من الضلال

ومعه

كيمياء السعادة والقواعد العشرة والآداب في الدين

للعلامة الامام حجة الاسلام

ابي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي

قدس الله روحه ونور ضريحه

تعليق وتصحيح

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد محمد جابر

المفتش بالأزهر والمعاهد الدينية

حقوق الطبع محفوظة

يطلب من

مكتبة البغدادي

بسيدنا الحسين بمصر تليفون ٧٤٥١٨

نعيم وفى طبقات الشعرانى ورسالة القشيرى كثير من عباراتهم التى يؤخذ منها روح منهجهم العام وذكر فى طبقات الشعرانى كثير من عبارات متصوفة المشيخة والإرادة وإليك طائفة من عبارات وأحوال متصوفة الطورين ومن التأمل فى هذه العبارات والأحوال تدرك مدى مابين الطورين من السمو والانحطاط كان أويس القرنى وهو من الرعيل الأول فى تصوف المسلمين لايرى إلا كل سنة أو سنتين مرة لأنه لما نسب إلى الجنون بنى له خصا على باب داره فكانوا لا يرونه يخرج إلا فى النادر ، قال له رجل أوصنى فقال : وصيتى إليك كتاب الله تعالى وسنة المرسلين وصالحو المؤمنين ، وطلب شخص أن يجالسه فقال يأخى لاأراك بعد اليوم فإنى أكره الشهرة والوحدة أحب إلى ، إنى كثير الغم مادمت مع الناس فى هذه الدنيا فلا تسألنى ولا تطلبنى بعد فراقك فإنى لاأنساك يأخى وإن لم أرك وترنى ، وكان إبراهيم بن أدهم يغلق بابه من خارج فيجىء الناس فيجدونه مغلقا فيذهبون وقال سهل بن عبدالله مخالطة الولى للناس ذل وتفرده عنهم عز وقلما رأيت وليا لله عزوجل إلا منفرداً وقال إبراهيم الخواص لقيت الخضر عليه السلام فى بادية فسألنى الصحبة فخشيت أن يفسد على توكلى بالسكون إليه ففارقته وقال أبو يزيد البسطامى أن أولياء الله مختفون فى جنان الانس لايراهم أحد فى الدنيا ولا فى الآخرة وعرف الجنيد سيد هذه الطائفة التصوف فقال : هو صفاء المعاملة مع الله تعالى واصله الصرف عن لدنيا كما قال حارثة صرفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى . وكان رضى الله عنه يقول : الغفلة عن الله تعالى

Marfat.com

أشد من دخول النار ، وكان يقول : من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فلا يلق الناس فان هذا زمان وحشة فالعاقل من اختار فيه العزلة هذه بعض عبارات وأحوال المتصوفين فى فجر الإسلام على نهجهم تصوف الغزالى فطرح جميع العالم وأمسك الشريعة بظاهره واعتصم بالنبى بباطنه وحدق بالعين الباطنة التى مثلها كثيراً بالباصرة فى صفات الحق والاستغراق فى التنزيه والتوحيد حتى امتلأ أناؤه من العلوم والمعارف التى ينهل منها كل من أشرف على هذه الرياض فالتصوف عنده كمن سبقه أحوال ومقامات ومجاهدات ومكاشفات وسياحات . وقد كان حرص المتصوفة فى فجر الاسلام شديداً على أن يعرف كل واحدمنهم مبلغ ماوصل إليه زميله وبماذا وصل فلم يتتلمذ أحدهم للآخر كانت جمعياتهم قليلة والتقاءاتهم نادرة يقصدون التفرد والبعد عن الشواغل والصور الحاجبة عن السير ثم فترت الهمم فأصبح التصوف مشيخة وإرادة واشتغل المريدون بشيوخهم واشتغل الشيوخ بمريديهم ثم تركزت هذه الصناعة حتى أصبحت حجراً روحيا بين كل طائفه وطائفة وأصبح الشيخ يعرف مريده فى صلب أبويه فلا يمكن أن يتعدى على مريده أحد بعد أن أصبح فى خرقته فاسمع السهروردى فى عوارف المعارف حين يتكلم على لبس هذه الخرقة .

« لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المريد وتحكيم من المريد للشيخ فى نفسه والتحكيم سائغ فى الشرع لمصالح دنيوية فماذا ينكر المنكر للبس الخرقة على طالب صادق فى طلبه يتقصد شيخا يحسن ظن و عقيدة بحكمه فى نفسه لمصالح دينه ويرشده ويهديه ويعرفه طريق المواجيد ويبصره

Marfat.com

بآفات النفوس وفساد الأعمال ومداخل العدو فيسلم نفسه إليه ويستسلم لرأيه واستصوابه فى جميع تصاريفه فيلبسه الخرقة إظهاراً للتصرف فيه فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم ودخوله فى حكم الشيخ دخوله فى حكم الله وحكم رسوله وإحياء سنة المبايعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى الأستاذ أبو القاسم القشيرى عن شيخه أبى على الدقاق أنه قال الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق ولا تثمر وهو كما قال ويجوز أنها تثمر كالأشجار التى فى الأودية والجبال ولكن لا يكون لفاكهتها طعم فاكهة البساتين والغرس إذا نقل من موضع إلى موضع آخر يكون أحسن حالا وأكثر ثمرة لدخول التصرف فيه وسمعت كثيراً من المشايخ يقولون من لم ير مفلحا لا يفلح ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا العلوم والآداب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى عن بعض الصحابة علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شىء فالمريد الصادق إذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبه وتأدب بآدابه يسرى من باطن الشيخ حال إلى باطن المريد كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقح باطن المريد ويكون مقال الشيخ مستودع نفائس الحال وينتقل الحال من الشيخ إلى المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال ولا يكون هذا إلا لمريد حصر نفسه مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه وفنى فى الشيخ بترك اختيار نفسه فبالتألف الالهى يصير بين الصاحب والمصحوب امتزاج وارتباط بالنسبة الروحية والطهارة الفطرية ثم لا يزال المريد مع الشيخ كذلك متادبا بترك

Marfat.com

الاختيار حتى يرتقى من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدأ هذا الخير كله الصحبة والملازمة للشيوخ والخرقة مقدمة ذلك انتهى .

هذه صورة من تصوف القرون الوسطى ومدرسته أى مدرسة ما بعد الغزالى وهى أى مدرسة المشيخة والإرادة لم تخرج مثل الغزالى بل أكابر هذه المدرسة لم يلحقوا بالغزالى إلا بعد إن نزعوا عنهم لباس المشيخة والارادة فهذا أبو الحسن الشاذلى سأله سائل من شيخك ؟ فقال كنت أنتسب إلى للشيخ عبد السلام بن مشيش وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد بل أعوم فى عشرة أبحر محمد وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وجبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل والروح الأكبر وقد انتقل حال الشاذلى إلى تلميذه الأكبر سيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنه فانه لم يتفتق بالأنوار إلا من حضرة النبى صلى الله عليه وسلم قال رضى الله عنه : لى أربعون سنة ماحجبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو حجبت طرفة عين ماعددت نفسى من جملة المسلمين وقال القطب الكبير سيدى إبراهيم الدسوقى « وأن رسول الله شيخى وقدوتى » وأياما كان فالمتصوف لابد له فى سيره من روح تلازمه وترضعه وتسقيه فأصحاب الهمم العالية لم يرضوا بغير النبى صلى الله عليه وسلم إماما ورفيقاً وهؤلاء أعلام الصوفية ومنهم من انحط للرى من الأنهار والمساقى فبعد عنه الساقى وتغير عليه الماء من كثرة مامر فى السبل والطرقات والغزالى شرب من النبع الأول فصفا شرابه ونفع الله بعلومه الناس .

Marfat.com

وقد تحقق عندى بالوجدان الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم لازال يربى رجال الله بالتربية الباطنية التى خصه الله بها كما خص بها بعض كملة الهداة من أعلام الطريق وأن من سبقت له العناية يسوقه الله إلى هذا المورد الأصفى وقد قال سيدى الشيخ محمد أبو المواهب الشاذلى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى عن نفسه « لست بميت وإنما موتى عبارة عن تسترى عمن لا يفقه عن الله وأما من يفقه عن الله فها أنا أراه ويرانى » وألف ابن خلدون رسالة فى أن الشيخ ليس بلازم فى الطريق وقد علمت أن الصحبة فى طريق أهل الله إنما كانت فى بدء ظهور التصوف للنصح أما التربية والسقيا فما كانوا يخصون بها أحداً غير النبى صلى الله عليه وسلم فالزم طريق السلف ولا تقيد نفسك بخرقة إنما قيدها بالسنة والشريعة ففى حضرة الاطلاق رتع المحبون ؟

محمد محمد جابر

من علماء الأزهر والمدرسين به

Marfat.com

نبذة من ترجمة الامام ابى حامد الغزالى

مولده ومنشؤه : — ولد الغزالى فى مدينة طوس من مدن خراسان سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) وتوفى والده قبل أن يبلغ سن الرشد . فنشأ معتمداً على نفسه . مندفعاً إلى طلب العلم والتبحر فيه بدافع الغريزة الفطرية الكامنة فى تلك النفس الكبيرة . فتلقى مبادىء العربية والفقه فى بلده . وانتقل إلى جرجان فقرأ مبادىء الأصول على أحد أعلامها وعاد إلى طوس.

رحلته : — ولم يمكث الإمام طويلا ببلدته بعد أوبته من جرجان ، فقام برحلته العلمية التى أرشدته إلى العلم الصحيح ، وأذاعت شهرته فى الخافقين فقصد نيسابور حيث لازم إمام الحرمين الجوينى مدة انتهت بوفاة الجوينى سنة ٤٧٧هـ وانتقل إلى العراق وقد سبقه اسمه إلى تلك الآفاق ، فاتصل بالوزير نظام الملك ففوض إليه مهمة التدريس بمدرسته (النظامية) ببغداد سنة ٤٨٤ هـ فأقام يبث العلم ويصنف الأسفار مدة أربع سنين أصابه على أثرها مرض اضطره إلى مفارقة العراق ، فرحل إلى الحجاز حاجا ثم أتى الشام فأقام فى القدس نحو سنتين ، ورحل إلى الديار المصرية فنزل بالاسكندرية ، وعاد بعد ذلك إلى مسقط رأسه ـ طوس ـ منقطعا إلى العبادة ، فألزمه فخر الملك بن نظام الملك بالتدريس بمدرسته فى نيسابور فدرس بها مدة قصيرة وعاد إلى ملازمة بيته بطوس حتى مات سنة ٥٠٥هـ (١١١١م) ودفن بمقبرة الطابران بظاهر طوس .

مصنفاته : — قل أن انتفع الناس بمصنفات أحد من العلماء انتفاعهم بكتب الإمام الغزالى، وقد ترجم الكثير منها إلى اللغات الأجنبية كرسالته

Marfat.com

ـ الولدية ـ فقد ترجمت إلى الألمانيةباعتناء العلامة ـ فونهامر بورغستال النمساوى ـــ والدرة الفاخرة فى أحوال الآخرة ـــ ترجمت إلى اللغة الفرنسية باعتناء العلامة غاوتيه . ومن حسن حظ العلم أن أكثر كتب الغزالى بقى محفوظا لم يصبه ماأصاب سواه من الضياع والاندثار ، وفى هذا دليل على إقبال العلماء والمتعلمين فى أيام الغزالى وبعده على نقل مؤلفاته واستنساخها للاستفادة منها ـ ومن جملة المطبوع من كتبه فى مصر وغيرها على ماانتهى إلينا العلم به .

إحياء علوم الدين ، المنقذ من الضلال ـ الذى نحن الآن بصدده ـ عمدة المحققين ، تهافت الفلاسفة، الدرة الفاخرة مكاشفةالقلوب،منهاج العابدين ، بداية الهداية ، وسر العالمين ، المضنون به على غير أهله،الأجوبة الغزالية والمسائل الأخروية ، محك النظر ، المقصد الأسنى ، الحكمة فى مخلوقات الله ، الاقتصاد فى الاعتقاد ، إلجام العوام ، المستصفى، الوجيز ، آداب الصوفية ، الكشف والتبيين ، معارج القدس فى مدارج معرفة النفس « جواهر القرآن » الأربعين فى أصول الدين «ميزان العمل » معيار العلم ، مقاصد الفلاسفة ، القصيدة الهائية ، القصيدة التائية أضف إلى هذا المجموعة المسماة بالجواهر للغزالى وفيها عشر رسائل أخرى وهى ـ كيمياء السعادة ، الرسالة اللدنية ، الأدب فى الدين ، أيها الولد ، فيصل التفرقة القواعد العشرة ، مشكاه الأنوار ، رسالة الطير ، الرسالة الوعظية ، القسطاس المستقيم ؟

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة و المدخل

الحمد لله الذى يفتتح بحمده كل رسالة ومقالة ، والصلاة على محمد المصطفى صاحب النبوة والرسالة ، وعلى آله وأصحابه الهادين من الضلالة .

أما بعد : فقد سألتنى أيها الأخ فى الدين، أن أبث إليك غاية العلوم وأسرارها ، وغائلة المذاهب وأغوارها ، وأحكى لك ما قاسيته فى استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق ، مع تباين المسالك والطرق ، وما استجرأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد إلى يفاع(١) الاستبصار ، وما استفدته أولا من علم الكلام، وما احتويته ثانيا من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الإمام ، وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف(٢) وما ارتضيته آخراً من طريقة التصوف ، وما انجلى لى فى تضاعيف تفتيشى عن أقاويل الحق من لباب الحق، وما صرفنى عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة ، وما دعانى إلى معاودتى نيسابور بعد طول المدة ، فابتدرت لإجابتك إلى مطلبك بعد الوقوف على صدق رغبتك

---

(١) يقع الغلام راهق العشرين أو ترعرع وناهز البلوغ .

(٢) تفلسف الرجل تعاطى الفلسفة والفلسفة الحكمة . وعند المتأخرين معرفة الأشياء بعللها .

Marfat.com

وقلت مستعينا بالله ومتوكلا عليه ، ومستوثقا منه ، وملتجئا إليه .

إعلموا ـ أحسن الله تعالى إرشادكم ، وألان للحق قيادكم، أن اختلاف الخلق فى الأديان والملل ، ثم اختلاف الأئمة فى المذاهب كثرة الفرق وتباين الطرق ، بحر عميق غرق فيه الأكثرون ، وما نجا منه إلا الأقلون وكل فريق يزعم أنه الناجى ، و « كل حزب بما لديهم فرحون » هو الذى وعدنا به سيد المرسلين ، صلوات الله عليه ، وهو الصادق الصدوق حيث قال : « ستفترق أمتى ثلاثا وسبعين فرقة . الناجية منها واحدة(١) » فقد

---

(١) الحديث فى افتراق الأمة موجود فى الصحيحين وفى السنن الأربعة « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » يقول العبد الضعيف إننى لا أدرى أكان تقحم الغزالى وتفحصه للمذاهب والعقائد مدى ثلاثين عاما عمليا سلبيا أو إيجابيا قدم به الغزالى للامة الاسلامية ثقافات جديدة أم هو ضياع وقت ثمين من عمر فيلسوف عظيم كالغزالى ، إن البحث عن الحقيقة بعيداً عن الكتاب والسنة ومناهج الصحابة والتابعين واشتغال علماء المسلمين وفلاسفتهم بالالهيات التى لم يأمرهم القرآن بالبحث فيها وترك الجهاد والفتح ونشر الدعوة أضاع على المسلمين فرصا ذهبية فى نشر دعوتهم وثقافتهم لو أن فلاسفة الغرب أضاعوا أعمارهم فى علاقة المادة بما وراءها أو فى أن الذات لها صفات أم لا أو فى القدر أو فى الأرجاء لما وصلوا إلى امتلاك ناصية الكرة يدبرونها كما يشاءون ويسخرون المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها عبيداً أذلاء يتصرفون فى ديارهم وأموالهم تصرف الوصى على السفيه والمسلمون مشغولون بتكفير بعضهم بعضا .

Marfat.com

كاد ماوعد أن يكون .

ولم أزل فى عنفوان شبابى ، منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن ، وقد أناف السن على الخمسين ، اقتحم لجة هـذا البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور . لاخوض الجبان الحذور ، وأتوغل فى كل مظلمة ، وأتهجم على كل مشكلة ، وأتقحم كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة . واستكشف أسرار مذهب كل طائفة ، لأميز بين محق ومبطل ، ومتســـنن ومبتدع لا أغادر باطنيا إلا وأحب أن أطلع على بطانته ولا ظاهريا إلا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته ولا فلسفيا إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما إلا وأجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا إلا وأحرص على العثور على سر صفوته ، ولامتعبداً إلاوأترصد مايرجع إليه حاصل عبادته ، ولازنديقا(١) معطلا(٢) إلا وأتجسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته فى تعطيله وزندقته

وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبى وديدنى من أول أمرى وريعان عمرى، غريزة وفطرة من الله وضعنا فى جبلتى، لا باختيارى وحيلتى حتى انحلت عنى رابطة التقليد ، وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهد شرة(٣) الصبا إذا رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم

---

(١) الزنديق من يبطن الكفر ويظهر الايمان — فارسية معربه — .

(٢) المعطلة فرقة تقول بأن الله عام بذاته سميع بذاته لا بصفة زائدة فهم معطلون للصفات ،

(٣) شرة الشباب أو الصبا نشاطه .

Marfat.com

نشوء إلا على التنصر ، وصبيان اليهود لانشوء لهم إلا على التهود، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام . وسمعت الحديث المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه(١) فتحرك باطنى إلى حقيقة الفطرة الأصلية وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين ، والتميز بين هذه التقليدات ، وأوائلها تلقينات ، وفى تميز الحق منها عن الباطل اختلافات ، فقلت فى نفسى ، إنما مطلوبى العلم بحقائق الأمور ، فلابد من طلب حقيقة العلم ماهى ؟ فظهر لى أن العلم اليقينى هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك، بل الأمان من الخطإ ينبغى أن يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا ، لم يورث ذلك شكا وإنكارا ، فإنى إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة ، فلو قال لى قائل : لا ، بل الثلاثة أكثر بدليل أنى أقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها ، وشاهدت ذلك منه ، لم أشك بسببه فى معرفتى ، ولم يحصل لى منه إلا التعجب من كيفية

---

(١) رواه البخارى بلفظ « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودا أو ينصرانه أو يمجسانه » الحديث رواه مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ « كل إنسان تلده أمه على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسا فان كانا مسلمين فمسلم — كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان فى خصيه إلا مريم وابنها » .

Marfat.com

قدرته عليه ! فأما الشك فيما علمته فلا .

ثم علمت أن كل مالا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذاالنوع من اليقين فهو علم لاثقة به ولا أمان معه ، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقينى .

(١) مداخل السفسطة(١)

وجحد العلوم

ثم فتشت عن علومى فوجدت نفسى عاطلا من علم موصوف بهذه الصفة إلا فى الحسيات والضروريات . فقلت : الآن بعد حصول اليأس لا مطمع فى اقتباس المشكلات إلا من الجليات ، وهى الحسيات والضروريات . فلابد من إحكامها أولا لأتيقن أثقتى بالمحسوسات وأمانى من الغلط فى الضروريات ، من جنس أمانى الذى كان من قبل فى التقليديات ، ومن جنس أمان أكثر الخلق فى النظريات ، أم هو أمان محقق لا غدر فيه ولا غائلة له ؟ فأقبلت بجد بليغ اتأمل فى المحسوسات والضروريات ، وأنظر هل يمكننى أن أشكك نفسى فيها ؟ فانتهى بى طول التشكيك إلى أن لم تسمح نفسى بتسليم الأمانى فى المحسوسات أيضا ،

---

(١) السفسطة والسفسطة المغالطة وهى قياس مركب من الوهميات والنسبة إليه سفسطى وربما قيل سوفسطائى يونانية معربة .

Marfat.com

وأخذ يتسع(١) هـذا الشـك فيها ويقول : من أين الثقة بالمحسوسات ، وأقواها حاسة البصر ، وهى تنظر إلى الظل فتراه واقفا غير متحرك ،

---

(١) الواقع أن هذا الحال عند الغزالى لم يكن من خصائصه فلقد مر هـذا الدور على جميع أكابر العارفين ويسمون هذا المقام بمقام الحيرة ، مر الحلاج وهو مقيد فى يد الشرطة على بعض الحوارى فسأل ما هـذه الحـارة فقيل له هذه حارة اليهود فقال والله ماحارة اليهود وإنما حارت الأنبيـاء والذين يريد الله اصطفاءهم لحضرته يتـدرج بهم فى طرائق معرفته عن طريق مخلوقاته فى الملك والملـكوت فيريهم آياته ويسـبغ عليهم نعمـة معرفته والاطمئنان إليه أن الوصـول إلى المحبوب من أقصر طريق لا يجعل للمحبة لذة ولـكن المـكابدة والتخبط فى السبل ثم الوصول إلى المقصـود يمـكن المحبـة ويجعل المحبوب فى المـكان الأرفع ، وكـذلك نرى إبراهيم ملـكوت السـموات والأرض وليـكون من الموقنين. فلمـا جن عليه الليل رأى كوكبا قال هـذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال هـذا ربى فلمـا أفل قال لئن لم يهـدنى ربى لاكونن من القوم الضالين . فلمـا رأى الشـمس بازغة قال هذا ربى هذا أكـبر فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء ممـا تشركون ، ولمـا فوجىء السيد الأعظم صلوات الله وسـلامه عليه فى غار حراء بسـيدنا جبريل فزع وخاف على نفسـه وذهب إلى خديجة وأخبرها الخبر فبعثت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ولمـا حضر طمأن الرسـول على حاله وأخبره أن هذا هو سبيل الأنبياء يفاجئون بالحقيقة فلا يدرون أفى يقظة هم أم فى منام أيرون الحق أم هم فى أوهام ثم تنـكشف شمس الحقيقة لمن سبقت لهم من الله الحسنى . "

Marfat.com

وتحكم بنفى الحركة ؟ ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف أنه متحرك وأنه لم يتحرك دفعة بغتة ، بل على التدريج ذرة ذرة ، حتى لم تكن له حالة وقوف وتنظر إلى الكوكب فتراه صغيراً فى مقدار الدينار ، ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض فى المقدار . وهذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحسن بأحكامه ، ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكذيبا لا سبيل إلى مدافعته فقلت : قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضا ، فلعله لا ثقة إلا بالعقليات التى هى من الأوليات ، كقولنا العشرة أكثر من الثلاثة والنفى والإثبات لا يجتمعان فى الشىء الواحد لا يكون حادثا قديما ، موجوداً معدوما ، واجبا محالا . فقالت المحسوسات ، بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات وقد كنت واثقا بى فجاء حاكم العقل فكذبنى ، ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقى ؟ فلعل وراء إدراك العقل حاكما آخر ، إذا تجلى كذب العقل فى حكمه ، كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس فى حكمه وعدم تجلى ذلك الإدراك ، لا يدل على استحالته . فتوقفت النفس فى جواب ذلك قليلا ، وأيدت إشكالها بالمنام وقالت : أما تراك تعتقد فى النوم أمورا وتتخيل أحوالا وتعتقد لها ثباتا واستقراراً ولا تشك فى تلك الحالة فيها ، ثم تستيقظ فتعلم أنه لم يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل ؟ فبم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده فى يقظتك بحس أو عقل هو حق بالاضافة إلى حالتك التى أنت فيها ، لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها إلى يقظتك كنسبة يقظتك إلى منامك ، وتكون

Marfat.com

يقظتك نوما بالإضافة إليها ! فاذا وردت تلك الحالة تيقنت أن جميع ما توهمت بعقلك خيالات لا حاصل لها ، ولعل تلك الحالة ما تدعيه الصوفية أنها حالتهم : إذ يزعمون أنهم يشاهدون فى أحوالهم التى لهم إذا غاصوا فى أنفسهم وغابوا عن حواسهم، أحوالا لا توافق هذه المعقولات ولعل تلك الحالة هى الموت إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » فلعل (١) الحياة الدنيا نوم بالإضافة إلى الآخرة فاذا مات ظهرت له الأشياء على خلاف مايشاهده الآن ، ويقال له عند ذلك : « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» فلما خطرت لى هذه الخواطر وانقدحت فى النفس ، حاولت لذلك علاجا فلم يتيسر إذ لم يكن دفعه إلا بالدليل ، ولم يمكن نصب دليل إلا من تركيب العلوم الأولية. فاذا لم تكن مسلمة لم يمكن ترتيب الدليل فأعضل هذا الداء ، ودام قريباً من شهرين أنا فيها على مذهب السفسطة بحكم الحال، لا بحكم النطق والمقال حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال

---

(١) وقد سار الغزالى مع ديكارت فى الطريق الذى ملكه أعنى طريق الشك ثم اليقين وإن كانت النتيجة التى وصلت إليهما ليست شكلا يناسب ثقافة كل منهما فالغزالى بعد ماشك فى البدهيات قذف الله فى قلبه نوراً اطمأن به وذهب عنه الشك من تراكم الأنوار الآلهية من تلك الحقيقة الوجودية والفيلسوف الفرنسى حصلت عنده هذه الوجدانيات من قرارة نفسه وهى مظهر من عالم الغيب فلم يشك فى نفسه التى سطعت فيها مرآة الحقيقة .

Marfat.com

ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بهـا على أمن ويقين ، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام ، بل بنور قذفه الله تعالى فى الصدر وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف ، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة فقد ضيق رحمة الله تعالى الواسعة ، ولما سئل رسول الله عليه السلام عن « الشرح » ومعناه فى قوله تعالى : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام » فقال: « هو نور يقذفه الله تعالى فى القلب» فقيل : « وما علامته »؟ فقال التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود وهو الذى قال عليه السلام فيه : « إن الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره(١)» فمن ذلك النور ينبغى أن يطلب الكشف وذلك النور ينبجس من الجود الإلهى فى بعض الأحايين ، ويجب الترصد له كما قال عليه السلام « إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها»(٢)

والمقصود من هذه الحكايات أن يعمل كمال الجد فى الطلب حتى ينتهى إلى طلب ما لا يطلب . فإن الأوليات ليست مطلوبة ، فإنهـا حاضرة .

---

(١) الحديث رواه أحمد والترمذى وابن جرير والطبرانى والحـاكم إن الله تعالى خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل ، وحديث شرح الصدر مذكور فى تفسير أبى السعود والنسفى .

(٢) معنى هذا رواه ابن النجار عن ابن عمر ورواه البيهقى وأبو نعيم والحـكيم عن أنس والبيهقى عن أبى هريرة بلفظ « اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات رحمة الله فان له نفحات من رحمته » الحديث .

Marfat.com

والحاضر إذا طلب فقد واختفى . ومن طلب مالا يطلب ، فلا يتهم بالتقصير فى طلب مايطلب .

أصناف الطالبين

ولما شفانى الله تعالى من هـذا المرض بفضله وسعة جوده ، انحصرت أصناف الطالبين عندى فى أربع فرق :

١ ــ المتكلمون : وهم يدعون أنهم أهل الرأى والنظر .

٢ ــ الباطنية : وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم .

٣ ــ الفلاسفة : وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان .

٤ ــ الصوفية : وهم يدعون أنهم خواص الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة(١) .

---

(١) ليت شعرى أين الفرقة التى أخبر عنها الصادق المصدوق بقوله « ما أنا عليه وأصحابى » وهو ما أخبر عنه القرآن بقوله « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » أفادت الآية أن طريق الحق واحدة وأن للباطل طرقاً متعددة لا واحدة وتعددها لم يحصى بعدد مخصوص وهذا الحديث مفسر للآية وهو قول ابن مسعود رضى الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً مستقيما وخط خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن شماله فقال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا فقال للخط المستقيم « هذا سبيل الله » وللخطوط التى عن يمينه وشماله هذه سبل متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه » فنى =

Marfat.com

فقلت فى نفسى : الحق لا يعدو هذه الأصناف الأربعة فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق فإن شذ الحق عنهم ، فلا يبقى فى درك الحق مطمع ، إذ لا مطمع فى الرجوع إلى التقليد بعد مفارقته إذ من شرط

— الحديث أنها خطوط متعددة غير محصورة بعدد فلم يكن لنا سبيل إلى حصر عددها من جهة النقل ولا لنا أيضاً سبيل إلى حصرها من جهة العقل والاستقراء . أما العقل فانه لايقضى بعدد دون آخر لأنه راجع إلى أمر غير محصور بدليل أن الزيغ راجع إلى الجهالات ووجوه الجهل لا تنحصر فصار طلب حصرها عناء من غير فائدة . وأما الاستقراء فغير نافع أيضاً لان البدع تزداد على الأيام . قد تقول إن الصوفية هم الفرقة الناجية لأنهم فى الحقيقة لا يخرجون عما عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه لكن الامام الغزالى يقصد من الصوفية معنى خاصاً يعنى بها الطائفة التى انكشفت لها بعض حقائق الوجود أما غيرهم ممن سار على نهج السلف ولم تنكشف له الأمور إلى درجة عين اليقين فليس لهم فى تقسيم الغزالى ذكر وقد كان للغزالى مجال واسع فى البحث عن الحقيقة عن طريق الكتاب والسنة فالآية الثانية من السورة الثانية تقرر أن الكتاب لاشك فيه وهنا يبحث عن الحقيقة فى ضوء عدم الشك فى الكتاب ويستتبع هذا البحث فى الوحى والنبوة والمعجزة فالنبوات والتصديق بها هى طريق اليقين وقد صرح الغزالى فى الفصل الأخير بأن اليقين إنما يصل من هذا الطريق بكيفيات أبانها رضى الله عنه ويظهر أنه لم يصل إلى هذا إلا بعد كفاح عنيف فى مسالك لوصول وهذا ليجعل الله منه مثلا للمتأهلين لهذه المقامات حتى لا يصلوا من بعده فى مفاوز الطرقات والمعتقدات وليبحثوا عن الحقيقة فى دائرة الوحى أولا .

Marfat.com

المقلد أن لا يعلم أنه مقلد فإذا علم ذلك انكسرت زجاجة تقليده ، وهو شعب لا يرأب ، وشعث لا يلم بالتلفيق والتأليف ، إلا أن يذاب بالنار ، ويستأنف له صنعة أخرى مستجدة .

فانتدرت لسلوك هذه الطرق ، باستقصاء ما عند هذه الفرق مبتدئاً بعلم الكلام ومثنياً بطريق الفلسفة ، ومثلثاً بتعليم الباطنية ، ومربعاً بطريق الصوفية .

١ — علم الكلام

مقصوده وحاصله

ثم إنى ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته ، وطالعت كتب المحققين منهم ، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف . فصادفته علماً وافياً بمقصوده ، غير واف بمقصودى ، وإنما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة على أهل السنة ، وحراستها عن تشويش أهل البدعة . فقد ألقى الله تعالى إلى عباده على لسان رسوله عقيدة هى الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار ، ثم ألقى الشيطان فى وساوس المبتدعة أموراً مخالفة للسنة ، فلهجوا بها وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها فأنشأ الله تعالى طائفة المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب ، يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة ، على خلاف السنة المأثورة ، فمنه نشأ علم الكلام وأهله ، فلقد قام طائفة منهم بما ندبهم الله تعالى اليه فأحسنوا الذب عن السنة والنضال عن العقيدة المتلقاة

Marfat.com

بالقبول من النبوة والتغيير فى وجه ما أحدث من البدعة . ولكنهم اعتمدوا فى ذلك على مقدمات تسلموها من خصومهم واضطرهم إلى تسليمها إما التقليد ، أوإجماع الأمة، أو مجرد القبول من القرآن والأخبار وكان أكثر خوضهم فى استخراج مناقضات الخصوم ، ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم . وهذا قليل النفع فى حق من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً أصلا . فلم يكن الكلام فى حق كافياً ، ولا لدائى الذى كنت أشكوه شافياً . نعم ، لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشوق المتكلمون إلى محاولة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور ، وخاضوا فى البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها ، ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم ، لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى ، فلم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة ، فى اختلافات الخلق . ولا أبعد أن يكون قد حصل ذلك لغيرى(١) بل لست أشك فى حصول ذلك لطائفة

---

(١) لاريب أن الامام الغزالى قد حسن الظن بنتائج هذا العلم فى عقول المسلمين فيما بعد ولكن الواقع أن اشتغال علماء المسلمين وعبقريتهم بمسائل هذا الفن التى اختلطت ببعض مسائل فلسفية مشوشة لأمت إلى العقلية الاسلامية الأولى بصلة أضاع أوقات هذه العقول الكبيرة فيما لا يقدم الأمة إلى الامام خطوة إن عقيدة الاسلام بسيطة سهلة لم يعقدها إلا علم الكلام الذى أصبح يستمد موضوعه من مباحث فلسفية لا علاقة لها بالاسلام من قريب أو بعيد ولذا لم يصل الغزالى به إلى الحق ولو أنك قدمت كتاب العقائد الفلسفية لعالم مستشرق مثلا ليبنى على مافيه عقائده للنفر من الاسلام ولايقن أن عقيدة الاسلام غير قابلة للفهم .

Marfat.com

ولكن حصولا مشوباً بالتقليد فى بعض الأمور التى ليست من الأوليات ! والغرض الآن حكاية حالى، لا الإنكار على من استشفى به فإن أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء وكم من دواء ينتفع به مريض ويستضر به آخر !

---

٢ — الفلسفة (١)

محصولها — المذموم منها ومالا يذم — مايكفر به قائله ومالا يكفر به — ومايبتدع فيه ومالايبتدع — بيان ماسرقه الفلاسفة من كلام أهل الحق — بيان ما مزجوه بكلام أهل الحق لترويج باطلهم — كيفية عدم قبول البشر ونفرة النفوس من ذلك الحق الممزوج بالباطل — كيفية استخلاص الحق الخالص من المزيف والبهرج من جملة كلامهم .

ثم إنى ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة . وعلمت

---

(١) الفلسفة رمز لثورة الانسان على الانسان والفلاسفة حملة لواء هذه الثورة ضد المحتكرين توجيه الانسان لا باسم الانسانية وهى فى الوقت نفسه عنوان فى نظر الفلاسفة على المنهج المثالى لحياة إنسانية معتدلة لا إفراط ولا تفريط فيها وترمى الفلسفة إلى تحديد الوجود وشرح عوالمه وأنواعه ووضع الأسس التى يصل بها الانسان إلى غاية الوجود كله وليس الفلسفة بالدين إلا علاقة التوجيه لخير الانسان لا هدم الدين إن الاتجاه الفلسفى الذى يحاول أن يهدم الدين ليس هو الاتجاه المثالى من بين اتجاهاتها بل هو ذلك الاتجاه الذى يحارب المثالية فى أى صورة لها فلسفية أو دينية وأجدر بالنزاع أن لا يكون بين الفلسفة والدين بل بين المادية والمثالية

Marfat.com

يقيناً أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم ، من لا يقف على منتهى ذلك العلم ، حتى يساوى أعلمهم فى أصل ذلك العلم ، ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة ، وإذ ذاك يمكن أن يكون مايدعيه من فساده حقا . ولم أر أحداً من علماء الإسلام صرف عنايته وهمته إلى ذلك .

ولم يكن فى كتب المتكلمين من كلامهم ، حيث اشتغلوا بالرد عليهم ، إلا كلمات معقدة مبددة ، ظاهرة التناقض والفساد ، لا يظن الاغترار بها بعاقل عامى ، فضلا عمن يدعى دقائق العلوم . فعلمت أن رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رد فى عماية . فشمرت عن ساق الجد ، فى تحصيل ذلك العلم من الكتب ، بمجرد المطالعة من غير استعانة بأستاذ ، وأقبلت على ذلك فى أوقات فراغى من التصنيف والتدريس فى العلوم الشرعية وأنا يومئذ بالتدريس والافادة لثلاثمائة نفس من الطلبة ببغداد .

فأطلعنى الله سبحانه وتعالى بمجرد المطالعة فى هذه الأوقات المختلسة ، على منتهى علومهم فى أقل من سنتين ثم لم أزل أواظب على التفكر فيه بعد فهمه قريبا من سنة ، أعاوده وأردده وأتفقد غوائله وأغواره ، حتى اطلعت على مافيه من خداع وتلبيس ، وتحقيق وتخييل ، اطلاعا لم أشك فيه

فاسمع الآن حكايته وحكاية حاصل علومهم ، فإنى رأيتهم أصنافا ، ورأيت علومهم أقساما ، وهم على كثرة أصنافهم يلزمهم وصمة الكفر والالحاد ، وإن كان بين القدماء منهم والأقدمين ، وبين الأواخر منهم والأوائل ، تفاوت عظيم فى البعد عن الحق والقرب منه .

Marfat.com

أصناف الفلاســـفة

واتصاف كافتهم بالـكفر

إعلم : أنهم ، على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم ، ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : الدهريون ، والطبيعيون ، والآلهيون .

١ ــ الصنف الأول : الدهريون ــ وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر ، العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه وبلا صانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون أبداً (وهؤلاء هم الزنادقة)(١).

---

(١) حشر فرقة الزنادقة فى مجموع الفلاسـفة غير مسـلم فالزنديق لا يمت إلى الفلسـفة بشىء وجعل من يقول ما يهلكنا إلا الدهر من الفلاسـفة غير مسـلم بل هؤلاء كفار بنص القرآن مخلدون فى النار إن لم يكونوا أهـل فترة أو لم تبلغهم الدعوة واتصاف كافة الفلاسـفة بالـكفر دعوى غير مسـلمة والبشرية فى نمو معارفها كالجسم متدرجـة تنمو تدريجا وليس من سـنة الله فى الـكون بلوغ الـكمال طفرة على أن الهوة بين الفلسفة والأديان ليسـت كما أراد أن يقرره الغزالى فالفلسفة الأفلاطونية مثلا تدعو إلى إنسان فاضل ومجتمع بشرى أفضل وارتضت فيما بعد الطبيعة أن تكون للموجودات فيما بعدها مثلا ونماذج لموجوداتها وبحكم أنها مثل ونماذج تكون فى وضع الغايات والمقاصـد تتجه موجودات الطبيعة نحوها وتحاكيها فى سعيها وحركاتهـا والوجود الطبيعى لذلك ليس غاية فى نفسه وما فيه لا يصح =

Marfat.com

٢ ــ الصنف الثانى : الطبيعيون ــ وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة ، وعن عجائب الحيوان والنبات ، وأكثروا الخوض فى علم تشريح أعضاء الحيوانات ، فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته ، مااضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم ، مطلع على غايات الأمور ومقاصدها . ولا يطالع التشريح وعجائب منافع الأعضاء مطالع ، إلا ويحصل له هذا العلم الضرورى بكمال تدبير البانى لبنية الحيوان ، لا سيما بنية الانسان . إلا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ، ظهر عندهم لاعتدال المزاج ، تأثير عظيم فى قوام قوى الحيوان به فظنوا أن القوة العاقلة من الانسان تابعة لمزاجه أيضا ، وأنها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم ثم إذا انعدم فلا يعقل إعادة المعدوم كما زعموا . فذهبوا إلى أن النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة وأنكروا الجنة والنار ، والحشر والنشر والقيامة والحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ، ولا للمعصية عقاب ،

= أن تقف حركات الانسان عنده ورأت الأفلاطونية فى دائرة السلوك الأخلاق أن الفضيلة العليا العدل أى التوازن بين قوى النفس ليسيطر العقل الانسانى على قوتى الغضب والشهوة وهكذا فلسفة أرسطو تقوم على المثالية وتقصد إلى غايات غير مادية فى النهاية وإن بدا عليها طابع الطبيعة وعند أرسطو واجب الوجود غاية الوجود وهو مجرد عن المادة ومطلق من تحديدها وإليه يسعى الوجود كله فى حركته والاسلام جعل غاية الوجود فى الله والله فى رأيه فوق الوجود المادى وسعى الانسان يجب أن يتجه إلى الله وحده وسلوك الانسان الفاضل ما نشأ إلا عن حب الله فليس إذا بين الاسلام والفلسفة فى أصلها عداء .

Marfat.com

فانحل عنهم اللجام ، وانهمكوا فى الشهوات إنهماك الأنعام(١).

وهؤلاء أيضاً زنادقة : لأن أصل الايمان : هو الايمان بالله واليوم الآخر . وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر ، وإن آمنوا بالله وصفاته .

٣ ــ الصنف الثالث : الآلهيون ــ وهم المتأخرون منهم مثل سقراط وهو أستاذ أفلاطون ، وأفلاطون أستاذ أرسطاطاليس ، وأرسطاطاليس هو الذى رتب لهم المنطق ، وهذب لهم العلوم ، وحرر لهم ما لم يكن محرراً من قبل ، وأنضج لهم ماكان نجاً من علومهم . وهم بجملتهم ردوا على الصنفين الأولين من الدهرية والطبيعية ، وأوردوا فى الكشف عن فضائحهم ما أغنوا به غيرهم . « وكفى الله المؤمنين القتال » بتقاتلهم . ثم رد أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط . ومن كان قبله من الآلهيين ، رداً لم يقصر فيه حتى تبرأ عن جميعهم . الا أنه استبقى أيضاً من رذائل كفرهم وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزوع عنها ، فوجب تكفيرهم(٢) وتكفير

---

(١) إن منكرى البعث وفرق الكفر بعيدون عن الفلسفة فلا معنى لخلط الفرق بعضها ببعض فالفلسفة هى المعارف الانسانية المتعلقة بالأفكار الكلية والوجود المطلق فلو أن الغزالى قرر أن معارف الفلاسفة لم ترو ظمأه وترك مسألة التفكير وعدمه جانبا لكان ذلك أنسب بشرح حاله الذى يريد أن يجعله مثلا يحتذى فى البحث عن الحقيقة فى الكون .

(٢) أن رمى عباقرة الانسانية بالكفر أمر غير مسلم بعمومه وكثير على المسلمين أن يكفروا العقليات التى لم تلد الإنسانية ولن تجود بمثلها فابن سينا ألم بكل معارف عصره إلماماً عجيباً حتى فتن الأجيال اللاحقة التى خلقت

Marfat.com

شيعتهم من المتفلسفة الإسلاميين ، كابن سينا والفار ابى وغيرهما . على أنه

= منه شخصا أسطوريا هائلا ولقد حملت كتبه الفلسفية على كتب أرسطو عند فلاسفة الأجيال اللاحقة قال ابن خلدون « وتجد الماهر منهم عاكفا على كتاب الشفاء والاشارات والنجاة » أما آراؤه فهو يرتب النفس ترتيبا تصاعديا فيتحدث أولا عن النفس النباتية ثم الحيوانية ثم الناطقة أما آراؤه فى العقل فهى تخالف آراء سلفيه الكندى والفار ابى بعض المخالفة نظر إلى العقل على أنه قوة تستكمل بالمعقولات شيئاً فشيئا والعقل يكتسب العلم بالفكر والحدس والفكر حركة للنفس الناطقة تبحث بها عن الحدود لمطلوب ما حتى إذا ظفرت بها رتبتها فى مقدمات قياسية أما الحدس فهو ظفر بالمطالب وحدودها الوسطى دفعة واحدة وعلم الانبياء حدس وعقلهم قدسى وهكذا يجعل ابن سينا علم الانبياء أرفع علم على خلاف الفار ابى الذى يرى علم الفلاسفة أوثق وأبعد عن الخيال والرمز والمعقولات عنده تفيض عن عقل خارج عنا أزلى أبدى أما الهياته فموضوعها البحث فى « الوجود المطلق » ويبدأ ابن سينا الهياته بتحديد صلة الوجود بماهيات الأشياء فيرى أن هناك مَن الاشياء ما لا يؤخذ فى حده معنى الوجود كالمثلث مثلا فأنا نتمثله خطاً وسطحاً ولا نتمثله موجوداً مثل هذا الشىء وجوده زائد على ماهيته عارض عليها وهو يحتاج فى وجوده إلى علة ولما كانت العلل لابد أن تتناهى لامتناع الدور والتسلسل فلا بد من الانتهاء إلى علة أولى بالاطلاق ماهيتها عين وجودها وهذه العلة لا نستطيع أن نتمثلها معدومة لأن ماهيتها الوجود نفسه ولأنها مبدأ كل موجود هكذا يؤدى التميز بين ماهية الشىء ووجوده إلى التميز بين الممكن والواجب إذ الممكن ما يستوى وجوده وعدمه والواجب هو الضرورى الوجود الذى يترتب على عدمه

Marfat.com

لم يقم بنقل علم أرسطاطاليس أحد من متفلسفة الاسلاميين كقيام هذين الرجلين وما نقله غيرهما ليس يخلو عن تخبيط وتخليط يتشوش فيه قلب المطالع حتى لا يفهم ، ومالا يفهم كيف يرد أو يقبل؟ ومجموع ماصح عندنا من فلسفة أرسطاليس ، بحسب نقل هذين الرجلين ، ينحصر فى ثلاثة أقسام :

(١) قسم يجب التفكير به (٢) وقسم يجب التبديع به ، (٣) وقسم لايجب إنكاره أصلا ، فلنفصله .

عدم كل موجود ويقابلهما العالم والله على الترتيب ولقد كان العالم عند أرسطو قديمه قدم الله ومثل هذه الاثنينية لا تتفق مع نزعة المسلم إلى التوحيد لذلك لما اضطر ابن سينا إلى القول بقدم العالم حتى يجعل أفعال الله قديمه مثله رأى أن يجعل الله متقدما على أفعاله القديمة بالذات لا بالزمان والزمان نفسه — مع أنه قديم مخلوق أيضا تقدمه الواجب بالذات لا بزمان آخر وقد فاض العالم عن الله بمحض إرادته لا عن حاجة إلى ذلك فكان عنه أولا العقل الأول الذى هو ممكن فى ذاته واجب بعلته وهذان الاعتباران فى العقل الأول عما بده حدوث الكثرة فى الوجود وفاض عن العقل الأول . عقل ثان وهكذا تستمر الموجودات فى التكثر فيصدر عن كل عقل عقل آخر ونفس فلكية وجرم سماوى حتى ينتهى الصدور إلى العقل العاشر وهو الفعال فى عالمنا هذا وهو على عكس أرسطو يرى أن العقل الاول هو المحرك الأول لا الله وإله أرسطو لايعقل إلا ذاته وهو مشغول بها عما عداها أما إله ابن سينا فليس يعقل ذاته فقط بل يعقل الماهيات الكلية كما يدرك الجزئيات فلا يعزب عنه مثقال ذرة وتحيط عناية الله بكل شىء .

S9564

Marfat.com

أقسام علومهم

إعلم : أن علومهم بالنسبة إلى الغرض الذى تطلبه ستة أقسام : رياضية ومنطقية ، وطبيعية وإلهية ، وسياسية وخلقية .

١ — أما الرياضية : فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيأة العالم وليس بتعلق شيء منها بالأمور الدينية نفياً وإثباتا بل هى أمور برهانية لا سبيل إلى مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها . وقد تولدت منها آفتان .

الاول ؛ من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها فيحسن بسبب ذلك اعتقاده فى الفلاسفة ، فيحسب أن جميع علومهم فى الوضوح وفى وثاقة البرهان كهذا العلم ، ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ماتداولته الألسنة ، فينكر بالتقليد المحض ويقول : لو كان الدين حقا لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم فى هذا العلم

= أما أبو نصر الفارابى فمذهبه مذهب المدرسة الأفلاطونية الجديدة فى صورتها الاسلامية وهذا المذهب كان الكندى بدأ يعبده من قبل ووصل به ابن سينا فى مصنفاته إلى أكمل صورة من بعد ومن المرجح أن الفارابى قد خالف الكندى وابنَ سينا فى بعض المسائل ويقول أصحاب دائرة المعارف الاسلامية : يجب أن نقف موقف التحفظ إن لم يكن موقف الشك عند بسط تفاصيل مذهب الفارابى فمؤلفاته لم تصل إلينا جميعها وأسلوبه غامض وكثير من رسائله عبارة عن نبذ مقتضبة غاية الاقتضاب وغير مرتبة وفكرته الأساسية التى تنحو إلى التوفيق بين أرسطو وأفلاطون من جهة وبين هذه الفلسفة والعقيدة الاسلامية لا تخلو من التناقض .

Marfat.com

فاذا عرف بالتسامع كفرهم وجحدهم ، فيستدل على أن الحق هو الجحد والانكار للدين . وكم رأيت من يضل عن الحق بهذا القدر ولا مستند له سواه ! وإذا قيل له : الحاذق فى صناعة واحدة ليس يلزم أن يكون حاذقا فى كل صناعة ، فلا يلزم أن يكون الحاذق فى الفقه والكلام حاذقا فى الطب ، ولا أن يكون الجاهل بالعقليات جاهلا بالنحو ، بل لكل صناعة أهل بلغوا فيها رتبة البراعة والسبق ، وإن كان الحمق والجهل قد يلزمهم فى غيرها . فكلام الأوائل فى الرياضيات برهانى ، وفى الآلهيات تخمينى ، لا يعرف ذلك إلا من جربه وخاض فيه ، فهذا إذا قرر على هذا الوجه فالذى ألحد بالتقليد . لم يقع منه موقع القبول ، بل تحمله غلبة الهوى ، وشهوة البطالة ، وحب التكايس على أن يصر على تحسين الظن بهم فى العلوم كلها فهذه آفة عظيمة لأجلها يجب زجر كل من يخوض فى تلك العلوم(١)

---

(١) وهذا كلام غريب أيضا من فيلسوف كثر فهمه العلمى فلم يقنع بعلوم الشريعة واتجه إلى علوم الأذواق ومع ذلك يحجر على غيره أن يشبع نهمه العلمى من علوم عالم الشهادة ليتجه إلى علوم الغيب ولم يدر ذلك الحجة الاسلامى أنه لم يصل إلى درجة الامامة حتى خاض هذه البحار جميعها وفى ظنى أن لن يصل أحد إلى مثل ما وصل إليه الامام إلا بانضاج العقلية بالعلوم الكونية أولا ليهيئه ذلك لتلقى علوم الفيض والالهام لقد لقيت فى بلادنا المصرية أكابر العارفين من أهل عصرى ولقيت منهم الأمين الذين لو أنهم كانوا تمرسوا بالعلوم لكانت إمامتهم أنضج وأبلغ ورأيت منهم من أعطى الولاية الكبرى ولكن هذا العطاء الضخم لم تنتفع منه =

Marfat.com

فإنها وإن لم تتعلق بأمر الدين ، ولكن لما كانت من مبادىء علومهم ، يسرى إليه شرهم وشؤمهم ، فقل من يخوض فيه إلا وينخلع من الدين وينحل عن رأسه لجام التقوى .

الآفة الثانية . نشأت من صديق للاسلام جاهل ، ظن أن الدين ينبغى أن ينصر بإنكار كل علم منسوب إليهم : فأنكر جميع علومهم وأدعى جهلهم فيها ، حتى أنكر قولهم فى الكسوف والخسوف ، وزعم أن ما قالوه على خلاف الشرع ، فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع ، لم يشك فى برهانه ، لكن اعتقد أن الاسلام مبنى على الجهل وإنكار البرهان القاطع فازداد للفلسفة حبا وللاسلام بغضا ، وقد عظم على الدين جناية من ظن أن الاسلام ينصر بإنكار هذه العلوم ، وليس فى الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفى والاثبات ، ولا فى هذه العلوم تعرض للأمور الدينية . وقوله عليه السلام : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته . فإذا رأيتم ذلك فأفزعوا الى ذكر الله تعالى والى الصلاة » ليس فى هذا ما يوجب انكار علم الحساب المعروف بمسير الشمس والقمر واجتماعهما أو مقابلتهما على وجه مخصوص أما قوله عليه السلام : « لكن الله اذا تجلى لشىء خضع له » فليس توجد هذه الزيادة فى الصحاح أصلا .

= الأمة كانتفاعها لو كانت هذه الشخصيات درست شيئا من علوم الحكمة وفلسفة الأقدمين .

Marfat.com

فهذا حكم الرياضيات وآفتها .

٢ ــ وأما المنطقيات : فلا يتعلق شيء منها بالدين نفياً وإثباتاً ، بل هو النظر فى طرق الأدلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها ، وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبه . وأن العلم إما تصور ، وسبيل معرفته الحد ، وإما تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس فى هذا ماينبغى أن ينكر ، بل هو من جنس ماذكره المتكلمون وأهل النظر فى الأدلة ، وإنما يفارقونهم بالعبارات والاصطلاحات ، وبزيادة الاستقصاء فى التعريفات والتشعيبات ، ومثال كلامهم فيها قولهم اذا ثبت ان كل « ا ــ ب » لزم أن بعض « ب ــ ا » أى اذا ثبت ان كل انسان حيوان لزم أن بعض الحيوان إنسان ، ويعبرون عن هذا بأن الموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية . وأى تعلق لهذا بمهمات الدين حتى يجحد وينكر؟ فإذا أنكر لم يحصل من إنكاره عند أهل المنطق إلا سوء الاعتقاد فى عقل المنكر بل فى دينه الذى يزعم أنه موقوف على مثل هذا الإنكار

نعم . لهم نوع من الظلم فى هذا العلم . وهو أنهم يجمعون للبرهان شروطاً يعلم أنها تورث اليقين لا محالة لكنهم عند الانتهاء الى المقاصد الدينية ماأمكنهم الوفاء بتلك الشروط ، بل تساهلوا غاية التساهل، وربما ينظر فى المنطق أيضا من يستحسنه ويراه واضحا ، فيظن أن ماينقل عنهم من الكفريات مؤيدة بمثل تلك البراهين ، فاستعجل بالكفر قبل الانتهاء الى العلوم الآلهية .

Marfat.com

فهذه الآفة أيضا متطرقة إليه (١)

٣ — وأما علم الطبيعيات فهو بحث عن عالم السموات وكواكبها وما تحتها من الأجسام المفردة : كالماء والهواء والتراب والنار ، ومن الأجسام المركبة : كالحيوان والنبات والمعادن ، وعن أسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها . وذلك يضاهى بحث الطب عن جسم الإنسان وأعضائه الرئيسية والخادمة . وأسباب استحالة مزاجها . وكما ليس من شرط الدين إنكار علم الطب فليس من شرطه أيضا إنكار ذلك العلم ، إلا فى مسائل معينة ذكرناها فى كتاب « تهافت الفلاسفة » وما عداها ما يجب المخالفة فيها ، فعند التأمل يتبين أنها مندرجة تحتها وأصل جملتها أن تعلم أن الطبيعة مسخرة لله تعالى ، لا تعمل بنفسها ، بل هى مستعملة من جهة فاطرها والشمس والقمر والنجوم والطبائع مسخرات بأمره لا فعل لشىء منها بذاته عن ذاته .

٤ — وأما الآلهيات ففيها أكثر أغاليطهم ، فما قدروا على الوفاء بالبراهين على ماشرطوه فى المنطق ، ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيها ولقد قرب مذهب أرسطاطاليس فيها من مذاهب الاسلاميين ، على مانقله الفارابى وابن سينا . ولكن مجموع ماغلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلا ، يجب تكفيرهم فى ثلاثة منها ، وتبديعهم فى سبعة عشر . ولإبطال

---

(١) ليس فى تعلم المنطق أى آفة تتطرق إلى من يدرسه وهو يدرس فى الأزهر نحو عشرة قرون فلم يكفر أهله .

Marfat.com

مذهبهم فى هذه المسائل العشرين ، صنفنا كتاب « التهافت » أما المسائل الثلاث ، فقد خالفوا فيها كافة المسلمين وذلك فى قولهم :

(١) إن الأجساد لا تحشر ، وإنما المثاب والمعاقب هى الأرواح المجردة ، والمثوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية (١)

ولقد صدقوا فى إثبات الروحانية ، فإنها كائنة أيضا ، ولكن كذبوا فى إنكار الجسمانية ، وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به .

(٢) ومن ذلك قولهم : « إن الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات » وهذا أيضاً كفر صريح ، بل الحق أنه : « لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض » .

(٣) ومن ذلك قولهم بقدم العالم وأزليته فلم يذهب أحد من المسلمين إلى شىء من هذه المسائل .

وأما ماوراء ذلك من نفيهم الصفات وقولهم أنه عليم بالذات لا يعلم زائد على الذات وما يجرى مجراها ، فمذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك وقد ذكرنا فى كتاب « فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة » مايتبين فيه فساد رأى من يتسارع إلى التفكير فى كل ما يخالف مذهبه .

٥ ــ وأما السياسيات فجميع كلامهم فيها يرجع إلى الحكم المصلحية

---

(١) ليست هذه عقيدة الفلاسفة فقط بل هذه عقيدة كثير من المسيحيين .

Marfat.com

المتعلقة بالأمور الدنيوية والإيالة السلطانية ، وإنما أخذوها من كتب الله المنزلة على الأنبياء ، ومن الحكم المأثورة عن سلف الأنبياء .

٦ ــ وأما الخلقية : فجميع كلامهم فيها يرجع إلى حصر صفات النفس وأخلاقها وذكر أجناسها وأنواعها ، وكيفية معالجتها ومجاهدتها ، وإنما أخذوها من كلام الصوفية(١) وهم المتأهلون المثابرون على ذكر الله تعالى وعلى مخالفة الهوى وسلوك الطريق إلى الله تعالى بالإعراض عن ملاذ الدنيا . وقد انكشف لهم فى مجاهدتهم من أخلاق النفس وعيوبها وآفات أعمالها ما صرحوا بها ، فأخذها الفلاسفة ومزجوها بكلامهم ، توسلا بالتجمل بها إلى ترويج باطلهم(٢) ولقد كان فى عصرهم ، بل فى كل عصر جماعة من المتألهين ، لا يخلى الله سبحانه العالم عنهم ، فإنهم أوتاد الأرض ببركاتهم تنزل الرحمة إلى أهل الأرض كما ورد فى الخبر حيث قال عليه السلام « بهم تمطرون وبهم ترزقون ومنهم كان أصحاب الكهف » .

وكانوا فى سالف الأزمنة ، على مانطق به القرآن ، فتولد من مزجهم كلام النبوة وكلام الصوفية بكتبهم آفتان ـ آفة فى حق القابل ، وآفة فى حق الزاد .

---

(١) ولم لا يكون التصوف والمتصوفة قد قلدوا الفلاسفة الاقدمين .

(٢) كلام كله دعاوى لا يقوم عليها دليل فان المذاهب والثقافات لا تزال من بدء الخليقة يأخذ بعضها من بعض فالتصوف من نوع الفلسفة والفلسفة نوع منه .

Marfat.com

١ ــ أما الآفة التى هى فى حق الراد فعظيمة : إذ ظنت طائفة من الضعفاء أن ذلك الكلام إذا كان مدونا فى كتبهم ، وممزوجا بباطلهم ، ينبغى أن يهجر ولا يذكر بل ينكر على كل من يذكره ، إذ لم يسمعوه أولا إلا منهم ، فسبق إلى عقولهم الضعيفة أنه باطل ، لأنه قائله مبطل ، كالذى يسمع من النصرانى قول « لا إله إلا الله عيسى رسول الله » فينكره ويقول ، هذا كلام النصرانى ، ولا يتوقف ريثما يتأمل أن النصرانى كافر باعتبار هذا القول ، أو باعتبار إنكاره نبوة محمد عليه السلام؟ فإن لم يكن كافرا إلا باعتبار إنكاره ، فلا ينبغى أن يخالف فى غير ما هو به كافر مما هو حق فى نفسه ، وإن كان أيضا حقا عنده . وهذه عادة ضعفاء العقول يعرفون الحق بالرجال ، لا الرجال بالحق . والعاقل يقتدى بقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه حيث قال ، لا تعرف الحق بالرجال بل أعرف الحق تعرف أهله ، والعارف العاقل يعرف الحق ، ثم ينظر فى نفس القول ، فإن كان حقا قبله سواء كان قائله مبطلا أو محقا بل ربما يحرص على انتزاع الحق من أقاويل أهل الضلال عالما بأن معدن الذهب الرغام . ولا بأس على الصراف إن أدخلَ يده فى كيس القلاب ، وانتزع الإبريز الخالص من الزيف والبهرج ، مهما كان واثقا ببصيرته ، وإنما يزجر عن معاملة القلاب القروى ، دون الصيرفى البصير ، ويمنع من ساحل البحر الأخرق ، دون السباح الحاذق ويصد عن مس الحية الصبى دون المعزم البارع .

ولعمرى : لما غلب على أكثر الخلق ظنهم بأنفسهم الحذاقة والبراعة

Marfat.com

وكمال العقل وتمام الآلة فى تمييز الحق عن الباطل ، والهدى عن الضلالة ، وجب حسم الباب فى زجر الكافة عن مطالعة كتب أهل الضلالة ما أمكن ، إذ لا يسلمون عن الآفة الثانية التى سنذكرها أصلا، وإن سلموا عن هذه الآفة التى ذكرناها ولقد اعترض على بعض الكلمات المبثوثة فى تصانيفنا فى أسرار علوم الدين طائفة من الذين لم تستحكم فى العلوم سرائرهم ولم تنفتح إلى أقصى غايات المذاهب بصائرهم ، وزعمت أن تلك الكلمات من كلام الأوائل ، مع أن بعضها من مولدات الخواطر ولا يبعد أن يقع الحافر على الحافر، وبعضها يوجد فى الكتب الشرعية ، وأكثرها موجود معناه فى كتب الصوفية . وهب أنها لم توجد إلا فى كتبهم فإذا كان ذلك الكلام معقولا فى نفسه ، مؤيداً بالبرهان ، ولم يكن على مخالفة الكتاب والسنة ، فلم ينبغى أن يهجر ويترك ؟ فلو فتحنا هذا الباب ، وتطرقنا إلى أن نهجر كل حق سبق إليه خاطر لزمنا أن نهجر كثيراً من الحق ، ولزمنا أن نهجر جملة آيات من آيات القرآن ، وأخبار الرسول وحكايات السلف ، وكلمات الحكماء والصوفية لأن صاحب كتاب ، إخوان الصفا ، أوردها فى كتابه مستشهدا بها ، ومستدرجا قلوب الحمقى بواسطتها إلى باطله ويتداعى ذلك إلى أن يستخرج المبطلون الحق من أيدينا بإيداعهم إياه فى كتبهم ، وأقل درجات العالم . أن يتميز عن العامى الغمر ، فلا يعاف العسل ، وإن وجده فى محجمة الحجام .

ويتحقق أن المحجمة لا تغير ذات العسل ، فإن نفرة الطبع منه مبنية على جهل عامى منشؤه أن المحجمة ، انما صنعت للدم المستقذر، فيظن أن

Marfat.com

الدم مستقذر لكونه فى المحجمة ، ولا يدرى أنه مستقذر لصفة فى ذاته ، فإذا عدمت هذه الصفة فى العسل فكونه فى ظرفه لا يكسبه تلك الصفة ، فلا ينبغى أن يوجب له الاستقذار . وهذا وهم باطل ، وهو غالب على أكثر الخلق ، فمهما نسبت الكلام وأسندته إلى قائل حسن فيه اعتقادهم ، قبلوه وإن كان باطلا ، وإن أسندته إلى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وإن كان حقا ، فابدا يعرفون الحق بالرجال ولا يعرفون الرجال بالحق ، وهو غاية الضلال هذه آفة الراد .

٢ ــ آفة القبول : فإن من نظر فى كتبهم « كإخوان الصفاء وغيره ، فرأى ما مزجوه بكلامهم من الحكم النبوية ، والكلمات الصوفية ، ربما استحسنها وقبلها ، وحسن اعتقاده فيها ، فيسارع إلى قبول باطلهم الممزوج به لحسن ظن حصل فيما رآه واستحسنه وذلك نوع استدراج إلى الباطل .

ولأجل هذه الآفة يجب الزجر عن مطالعة كتبهم (١) لما فيها من

---

(١) مقتضى هذا أن تأمر وزارة المعارف المصرية وإدارة البحوث فى الأزهر أن لا ترسل أبناءها لتعميم الدراسات فى جامعات الغرب حتى لا يطالع المبعوثون علوم الفرنجة وفلسفاتهم فيضلوا السبيل قل لى بربك ما هو هذا الإيمان الذى يضيع من مطالعة علم أو نقل ثقافة من ميدان إلى ميدان فى غالب ظنى أن هذا انكماش على لو سارت عليه أمة لفقدت وجودها كأمة متحضرة والبعد عن بحث نتاج مثل هذه العقول الجبارة إنكار لمفاخر الشرق فلو لم تنجب التربة الشرقية لحلا كأبى بكر الرازي أو الفارابى وابن سينا أو البيرونى أو أبى حيان وابن الهيثم وابن رشد والألوف المؤلفة =

Marfat.com

الغدر والخطر ، وكما يجب صون من لا يحسن السباحة عن مزالق الشطوط يجب صون الخلق عن مطالعة تلك الكتب ، وكما يجب صون الصبيان عن مس الحيات يجب صون الأسماع عن مخالط تلك الكلمات ، وكما يجب على المعزم أن لا يمس الحية بين يدى ولده الطفل ، إذا علم أنه سيقتدى به ويظن أنه مثله ، بل يجب عليه أن يحذره منه ، بأن يحذر هو فى نفسه ولا يمسها بين يديه ، فكذلك يجب على العالم الراسخ مثله ، وكما أن المعزم الحاذق إذا أخذ الحية وميز بين الترياق والسم ، فاستخرج منه الترياق وأبطل السم ، فليس له أن يشح بالترياق على المحتاج اليه . وكذلك الصراف الناقد البصير ، إذا أدخل يده فى كيس القلاب ، وأخرج منه الإبريز الخالص ، وأطرح الزيف والبهرج فليس له أن يشح بالجيد المرضى على من يحتاج اليه ، كذلك العالم ، وكما أن المحتاج إلى الترياق ، إذا اشمأزت نفسه منه ، حيث علم أنه مستخرج من الحية التى هى مركز السم . وجب تعريفه . والفقير المضطر إلى المال ، إذا نفر عن قبول الذهب المستخرج من كيس القلاب ؛ وجب تنبيهه على أن نفرته جهل محض ، هو سبب حرمانه عن الفائدة التى هى مطلبه . وتحتم تعريفه أن قرب الجوار بين الزيف والجيد لايجعل الجيد زيفا ، كما لا يجعل الزيف جيدا . فكذلك

= من أمثالهم وأقرانهم ممن ورثوا الأقدمين وصاروا حلقة وصل للمتأخرين لضاعت المعارف الانسانية فى الشرق . ولما أينعت ثمارها بعد ذلك فى الغرب .

Marfat.com

قرب الجوار بين الحق والباطل لايجعل الحق باطلا ، كما لا يجعل الباطل حقا

فهذا مقدار ما أردنا ذكره من آفة الفلسفة وغائلتها .

٣ ــ مذهب التعليم وغائلته

ثم إنى لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وتفهيمه وتزييف ما يزيف منه ، علمت أن ذلك أيضا غير واف بكمال الغوض ، وأن العقل ليس مستقلا بالإحاطة بجميع المطالب ، ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات وكان قد نبغت نابغة التعليمية ، وشاع بين الخلق تحدثهم بمعرفة معنى الأمور من جهة الإمام المعصوم القائم بالحق ، - عنّ لى أن أبحث عن مقالاتهم لأطلع على ما فى كتبهم ثم اتفق أن ورد على أمر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم فلم يسعنى مدافعته وصار ذلك مستحثاً من خارج ، ضميمة للباعث الأصلى من الباطن ، فابتدأت بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم . وكان قد بلغنى بعض كلماتهم المستحدثة التى ولدتها خواطر أهل العصر لا على المنهاج المعهود من سلفهم فجمعت تلك الكلمات ، ورتبتها ترتيبا محكما مقارناً التحقيق ، واستوفيت الجواب عنها ، حتى أنكر على بعض أهل الحق منى مبالغتى فى تقرير حجتهم وقال : « هذا سعى لهم فإنهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم بمثل هذه الشبهات لولا تحقيقك لها وترتيبك إياها » .

وهذا الإنكار من وجه حق ، فلقد أنكر أحمد بن حنبل على الحارث

Marfat.com

المحاسبي رحمهما الله تصنيفه في الرد على المعتزلة فقال الحارث « الرد على البدعة فرض » فقال أحمد ، نعم ، ولكن حكيت شبههم أولا ثم أجبت عنها . فبم تأمن أن يطالع الشبهة من يعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت إلى الجواب ، أو ينظر إلى الجواب ، ولا يفهم كنهه ، ؟

وما ذكره أحمد حق ، ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر فأما إذا انتشرت ، فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب عنها إلا بعد الحكاية(١) نعم ينبغي أن لا يتكلف إيرادها ، ولم أتكلف أنا ذلك ، بل كنت قد سمعت تلك الشبهة من واحد من أصحابي المختلفين إلى بعد أن كان قد التحق بهم وانتحل مذهبهم . وحكى أنهم يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم . فإنهم لم يفهموا بعد حجتهم . وذكر تلك الحجة وحكاها عنهم ، فلم أرض لنفسي أن يظن في الغفلة عن أصل حجتهم ، فلذلك أوردتها ، ولا أن يظن بي أني وإن سمعتها لم أفهمها ، فلذلك قررتها .

والمقصود أني قررت شبههم إلى أقصى الإمكان ، ثم أظهرت فسادها بغاية البرهان .

---

(١) الواقع أن نظر الامام أحمد أبعد من نظر الغزالي فاشتغال علماء الامة بتدوين كتب في الرد على المخالفين عمل سلبي ضائع ولو وجه العلماء جهودهم لتدعيم العقائد بنشر العلم النافع وتقويم الأمة على طريقة السلف لاحياء السنة لكان أجدى على الأمة من عدة مجلدات تكتب في الرد على ملحد أو زائغ أن أكبر وقاية للعقائد الاسلامية بعث علومها وثقافتها بدراسة الكتاب والسنة على طريقة السلف من غير تعمق في العقائد .

Marfat.com

والحاصل : أنه لا حاصل عند هؤلاء ولا طائل لكلامهم ، ولولا نصرة الصديق الجاهل ، لما انتهت تلك البدعة — مع ضعفها — إلى هذه الدرجة ، ولكن شدة التعصب ، دعت الذابين عن الحق إلى تطويل النزاع معهم فى مقدمات كلامهم ، وإلى مجادلتهم فى كل ما نطقوا به فجادلوهم فى دعواهم ، الحاجة إلى التعليم والمعلم ، ودعواهم ، لا يصلح كل معلم، بل لا بد من معلم معصوم(١) ، وظهرت حجتهم فى إظهار الحاجة إلى التعليم وإلى المعلم ، وضعف قول المنكرين فى مقابلتهم فاغتر بذلك جماعة وظنوا أن ذلك من قوة مذهبهم وضعف مذهب المخالفين لهم ولم يفهموا أن ذلك لضعف ناصر الحق وجهله بطريقه ، بل الصواب الاعتراف بالحاجة إلى معلم ، وأنه لا بد وأن يكون المعلم معصوما ، ولكن معلمنا المعصوم هو محمد عليه السلام . فإذا قالوا : « هو ميت » فنقول « ومعلمكم غائب » فإذا قالوا : « معلمنا قد علم الدعاة وبثهم فى البلاد ، وهو ينتظر مراجعتهم إن اختلفوا أو أشكل عليهم مشكل » فنقول : « ومعلمنا قد علم الدعاة وبثهم فى البلاد وأكمل التعليم إذ قال الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى » وبعد كمال التعليم لا يضر موت المعلم كما لا يضر غيبته

فبقى قولهم : « كيف تحكمون فى ما لم تسمعوه ؟ أبالنص ولم تسمعوه أم بالاجتهاد والرأى وهو مظنة الخلاف ؟ » فنقول : « نفعل مافعله معا

---

(١) القول بالامام المعصوم كقول متأخرى الصوفية بلزوم الشيخ للمريد وقد ردها الغزالى وأثبت أنه لا حاجة لنا إلى أحد بعد النبى المعصوم وهو موجود فينا معنى .

Marfat.com

إذ بعثه رسول الله عليه السلام إلى اليمن . إذ كان يحكم بالنص عند وجود النص وبالاجتهاد عند عدمه ، بل كما يفعله دعاتهم إذا بعدوا عن الإمام إلى أقاصى للبلاد . إذ لا يمكنهم أن يحكموا بالنص ، فان النصوص المتناهية لا تستوعب الوقائع الغير متناهية ، ولا يمكنهم الرجوع فى كل واقعة إلى بلدة الإمام ، وإلى أن يقطع المسافة ويرجع فيكون المستفتى قد مات ، وفات الانتفاع بالرجوع . فمن أشكلت عليه القبلة ليس له طريق إلا أن يصلى بالاجتهاد ، إذ لو سافر إلى بلدة الإمام لمعرفة القبلة ، لفات وقت ، الصلاة ، فإذن جازت الصلاة إلى غير القبلة بناء على الظن ، ويقال « إن المخطىء فى الاجتهاد له أجر واحد وللمصيب أجران » فكذلك فى جميع المجتهدات ، وكذلك أمر صرف الزكاة إلى الفقير ، وربما يظنه فقيراً باجتهاده وهو غنى باطنا بإخفائه ماله ، ولا يكون هو مؤاخذا به وإن أخطأ ، لأنه لم يؤاخذ إلا بموجب ظنه . فإن قال « ظن مخالفة كظنه ، فنقول « هو مأمور باتباع ظن نفسه كالمجتهد فى القبلة يتبع ظن نفسه وإن خالفه غيره » فان قال « فالمقلد يتبع أبا حنيفة أو الشافعى رحمهما الله، أم غيرهما فأقول ، فالمقلد فى القبلة عند الاشتباه، إذا اختلف عليه المجتهدون كيف يصنع ؟ « فسيقول » له مع نفسه اجتهاد فى معرفته الأفضل الأعلم بدلائل القبلة ، فيتبع ذلك الاجتهاد ، فكذلك فى المذاهب (١) ،

فرد الخلق إلى الاجتهاد — ضرورة — الأنبياء والأئمة مع العلم بأنهم

---

(١) التحقيق أنه لا يتحتم على المقلد التزام مذهب إمام معين لا يخرج عنه

Marfat.com

قد يخطئون ، بل قال رسول الله عليه السلام : « أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر أى : أنا أحكم بغالب الظن الحاصل من قول الشهود وربما أخطىء فيه . ولا سبيل إلى الأمن من الخطأ للانبياء فى مثل هذه المجتهدات فكيف نطمع فى ذلك (١)

ولهم ههنا سؤالان : أحدهما قولهم هذا ، وإن صح فى المجتهدات فلا يصح فى قواعد العقائد . إذا المخطىء فيها غير معذور . فكيف السبيل اليه؟ فأقول : « قواعد العقائد يشتمل عليها الكتاب والسنة وماوراء ذلك من التفصيل ، والمتنازع فيه « يعرف الحق فيه بالوزن بالقسطاس المستقيم (٢)

---

(١) تسمية المجتهد فيه من النبى المعصوم خطأ غير مسلم ومسألة الحكم بالظاهر ليست محل شاهد .

(٢) ولم لا يكون مرد المتنازع فيه كله إلى الكتاب والسنة مباشرة بدون حاجة إلى ميزان الغزالى وقد قال الله سبحانه وتعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ان الدين قد جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفرغ منه ولم يبق بعد تصديقه به بدلالة المعجزات الباهرات إلا اتباعه على هذا درج السلف ولذلك قال مالك لمن جادله : « أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا لجدله ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وروى مالك فى الموطأ عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : أيها الناس قد سنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض وتركتم على السنة الواضحة ليلها كنهارها وروى ابن ماجه نحو هذا مرفوعا من حديث أبى الدرداء .

Marfat.com

وهى الموازين التى ذكرها الله تعالى فى كتابه : وهى خمسة ذكرتها فى كتاب القسطاط المستقيم فان قال « خصومك يخالفونك فى ذلك الميزان » فأقول « لا يتصور أن يفهم ذلك الميزان ثم يخالف فيه ، ان لا يخالف فيه أهل التعليم ، لأنى استخرجته من القرآن وتعلمته منه ، ولا يخالف فيه أهل المنطق ، لأنه موافق لما شرطوه فى المنطق ، غير مخالف له ، ولا يخالف فيه المتكلم لأنه موافق لما يذكره فى أدلة النظريات ، وبه يعرف الحق فى الكلاميات ، فان قال : « فان كان فى يدك مثل هذا الميزان ، فلم لا ترفع الخلاف بين الخلق ؟ » فأقول « لو أصغوا إلى لرفعت الخلاف بينهم . وذكرت طريق رفع الخلاف فى كتاب « القسطاس المستقيم » فتأمله لتعلم أنه حق وأنه يرفع الخلاف قطعا لو أصغوا ولا يصغون اليه بأجمعهم ! بل قد أصغى الى طائفة ، فرفعت الخلاف بينهم وامامك يريد رفع الخلاف بينهم مع عدم اصغائهم فلم يرفع الى الآن ؟ ولم لم يرفع على رضى الله عنه وهو رأس الأئمة ؟ أو يدعى أنه يقدر على حمل كافتهم على الاصغاء قهرا ، فلم لم يحملهم الى الآن ؟ ولأى يوم أجله ؟ وهل حصل بين الخلق بسبب دعوته ألا زيادة خلاف وزيادة مخالفة ؟ نعم ! كان يخشى من الخلاف نوع من الضرر لا ينتهى الى سفك الدماء ، وتخريب البلاد وإيتام الأولاد وقطع الطرق ، والاغارة على الأموال . وقد حدث فى العالم من بركات رفعكم الخلاف من الخلاف مالم يكن بمثله عهد(١) فان قال (ادعيت أنك

---

(١) الواقع أن البحث عن الحق مع مثل هذه الفرق عبث لا طائل تحته هذه المذاهب دخلت إلى الاسلام عند كثرة الفتوح من بعض فرق =

Marfat.com

ترفع الخلاف بين الخلق ولكن المتحير بين أهل المذاهب المتعارضة والاختلافات المتقابلة لم يلزمه الاصغاء اليك دون خصمك وأكثر الخصوم يخالفونك ولا فرق بينك وبينهم) .

وهذا هو سؤالهم الثانى فأقول : هذا أولا ينقلب عليك اذا دعوت هذا المتحير إلى نفسك فيقول المتحير بم صرت أولى من مخالفيك وأكثر أهل العلم يخالفونك فليت شعرى ؟ أنجيب بأن تقول إمامى منصوص عليه فمن يصدقك فى دعوى النص وهو لم يسمع النص من الرسول وانما يسمع دعواك مع تطابق أهل العلم على اختراعك وتكذيبك ثم هب أنه يسلم لك النص فان كان متحيرا فى أصل النبوة : فقال هب ان أمامك يدلى بمعجزة عيسى فيقول الدليل على صدق أنى أحيي آباك فأحياه فناطقنى بأنه محق فبماذا أعلم صدقه ولم يعرف كافة الخلق صدق عيسى بهذه المعجزة . بل عليه من الأسئلة المشكلة مالا يدفع الا بدقيق النظر العقلى والنظر العقلى لا يوثق به عندك ولا يعرف دلالة المعجزة على الصدق مالم يعرف السحر والتميز بينه وبين المعجزة ومالم يعرف أن الله لا يضل عباده وسؤال الإضلال وعسر تحرير الجواب عنه مشهور فبماذا تدفع جميع ذلك ؟ ولم يكن أمامك أولى بالمتابعة من مخالفيه فيرجع الى الأدلة النظرية التى

= النصرانية التى تدعى أن روح الاله تحل فى زعمائهم وارتجاع العالم إلى صحراء هذه المذاهب المهلكة صرف المسلمين عما خلقوا له من الخلافة الارضية وعمارة الكون .

Marfat.com

تنكرها وخصمه يدلى بمثل تلك الأدلة وأوضح منها وهذا السؤال قد انقلب عليه انقلاباً عظيما لو اجتمع أولهم وآخرهم على أن يجيبوا عنه جوابا لم يقدروا عليه . وإنما نشأ الفساد من جماعة من الضعفة ناظروهم فلم يشتغلوا بالقلب بل بالجواب وذلك مما يطول فيه الكلام ولا يسبق سريعا إلى الأفهام فلا يصلح للاقوام فان قال قائل فهذا هو القلب فهل عنه جواب .

فأقول نعم جوابه أن المتحير لو قال أنا متحير ولم يعين المسألة التى هو متحير فيها يقال له أنت كمريض يقول أنا مريض ولا يذكر عين مرضه ويطلب علاجه فيقال له ليس فى الوجود علاج للمرض المطلق بل لمرض معين من صداع أو إسهال أو غيرهما ، فكذلك المتحير ينبغى أن يعين ماهو متحير فيه فإن عين المسألة عرفته الحق فيها بالوزن بالموازين الخمسة التى لايفهمها أحد إلا ويعترف بأنه الميزان الحق الذى يوثق بكل ما يوزن به فيفهم الميزان ويفهم أيضاً من صحة الوزن كما يفهم متعلم الحساب نفس الحساب وكون المحاسب المعلم عالما بالحساب وصادقا فيه وقد أوضحت ذلك فى كتاب القسطاس المستقيم فى مقدار عشرين ورقة فليتأمل وليس المقصود الآن ببيان فساد مذهبهم فقد ذكرت ذلك فى كتاب المستظهرى أولا وفى كتاب حجة الحق ثانياً وهو جواب كلام لهم عرض على ببغداد وفى كتاب مفصل الخلاف الذى هو إثنا عشر فصلا ثالثاً وهو جواب كلام عرض على بهمدان وفى كتاب الدرج المرقوم بالجداول رابعاً وهو من ركيك كلامهم الذى عرض على بطوس وفى

Marfat.com

كتاب القسطاس المستقيم خامساً وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده بيان ميزان العلوم وإظهار الاستغناء عن الإمام المعصوم(١) لمن أحاط به ، بل المقصود أن هؤلاء ليس معهم شيء من الشفاء المنجى من ظلمات الآراء بل هم من عجزهم عن إقامة البرهان على تعيين الإمام طال ماجاريناهم فصدقناهم فى الحاجة إلى التعليم وإلى المعلم المعصوم وأنه الذى عينوه ثم سألناهم عن العلم الذى تعلموه من هذا المعصوم وعرضنا عليهم إشكالات فلم يفهموها فضلا عن القيام بحلها فلما عجزوا أحالوا على الإمام الغائب وقالوا أنه لا بد من السفر إليه والعجب أنهم ضيعوا عمرهم فى طلب المعلم وفى التبجح بالظفر به ولم يتعلموا منه شيئاً أصلا كالمتضمخ بالنجاسة يتعب فى طلب الماء حتى إذا وجده لم يستعمله وبقى متضمخاً بالخبائث ومنهم من ادعى شيئاً من علمهم فكان حاصل ما ذكره شيئاً من ركيك فلسفة فيثاغورس(٢) وهو رجل من قدماء الأوائل ومذهبه أرك مذاهب الفلاسفة وقد رد عليه إرسطاطاليس بل اشترك كلامهم واسترذله وهو المحكى فى كتاب إخوان الصفا وهو على التحقيق حشو الفلسفة فالعجب ممن يتعب طول العمر فى طلب العلم ثم يقنع بمثل ذلك العلم الركيك المستغيث ويظن بأنه ظفر بأقصى مقاصد العلوم فهؤلاء أيضاً

---

(١) الامام المعصوم فكرة نصرانية دخلت الاسلام مع من أسلم من النصارى وهى كفكرة لزوم الشيخ للمريد عند صوفية القرون الأخيرة .

(٢) أن هذه الفلسفات الركيكة فى نظر الغزالى كانت مادة الفلسفة الحديثة التى أنارت طريق المعرفة أمام الانسان .

Marfat.com

جربناهم وسبرنا ظاهرهم وباطنهم فرجع حاصلهم إلى إستدراج العوام وضعفاء العقول ببيان الحاجة إلى المعلم ومجادلتهم فى إنكارهم الحاجة إلى التعليم بكلام قوى مفحم حتى إذا ساعدهم على الحاجة إلى المعلم مساعد وقال هات علمه وأفدنا من تعليمه وقف وقال الآن إذا سلمت له هذا فاطلبه فإنما عرض هذا القدر فقط إذ علم أنه لو زاد على ذلك لافتضح ولعجز عن حل أدنى الإشكالات . بل عجز عن فهمه فضلا عن جوابه فهذه حقيقة حالهم فأخبرهم تقلهم فلما خبرناهم نفضنا اليد عنهم أيضاً .

٤ — طرق الصوفية

ثم إنى لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمتى على طريق الصوفية وعلمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل وكان حاصل عملهم قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله . وكان العلم أيسر على من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب لأبى طالب المكى رحمه الله وكتب الحارس المحاسبى والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلى وأبى يزيد البسطامى قدس الله أرواحهم وغير ذلك من كلام مشايخهم حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع فظهر لى أن أخص خواصهم ما لا يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق(١) والحال وتبدل الصفات وكم من الفرق

(١) هذا الفصل من كتاب المنقذ هو أجل فصل فى الكتاب به =

Marfat.com

بين أن يعلم حد الصحة وحد الشبع وأسبابهما وشروطهما وبين أن يكون

= أبان حجة الاسلام حقيقة التصوف الذى انتهى به رضى الله عنه إلى أعلى درجة فى هـذا المضمار والغريب أن كثيراً من عوام الأمة يقرأ هـذا الفصل ويجتهد فى محاكاة الغزالى فى الخلوة والتقشف والزهد ليصل إلى ما وصل اليه أو إلى شىء منه ولـكن التاريخ لم يحدثنا بغزالى آخر والواقع أن لكل مريد كما يقولون تصوف فالتصوف فى الاسلام كان أطوارا .

التصوف العيسوى . التصوف الفكرى . التصوف التقليدى . التصوف المحمدى . أما التصوف العيسوى فهو تصوف الرياضات والتقليل من الأكل تدريجا حتى يصـل الأمر إلى الفطر على تمرة فى اليوم والليلة أو الفطر كل أربعين يوما على تمرة كما وصـل اليه سهل بن عبـد الله وقد وصـل هذا التصوف بالغزالى الذروة . أما التصوف الفكرى فيبتدىء من عصر الشـاذلى الذى كان أمام التصـوف القلبى بالذكر والاستغراق فيه مع عدم حرمان النفس من حلالها ونبغ فى هذا الشـأن أئمة كبار . وبعد ذلك ابتدأ التصوف التقليدى وهو محـاكاة إحدى الطريقتين الأوليين لـكن من غير قدرة على استفراغ الجهد فى أحدهما . أما التصوف المحمـدى فهو أسـلم منـاهج التصوف ولا يصلح لهذا العصر سواه بعد أن كثر الادعياء والمتمشيخون الذين لم يظهر لمناهجهم إن كان لهم مناهج أثر فى الأمة وخلاصة هـذا تجديد التوبة والاتجـاه بالكلية إلى السـنة وتعشـق صاحبها والتخلق بالاخلاق النبوية واسـتقصائها من كتب الشمائل والتعبد بالأذكار النبوية وملاحظة النبى صلى الله عليه وسلم فى جميع الأحوال ومشاهدة ذاته بالقلب فى جميع الأذكار ويبنى هذا التصوف الأخير على ركن واحد هو أن لا يشـغل =

Marfat.com

صحيحا وشبعان وبين أن يعرف حد السكر وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر وبين أن يكون سكرانا لا يعرف حد السكر وعلمه وهو سيكران وما معه من علمه شيء والصاحى يعرف حد السكر وأركانه وما معه من السكر شيء والطبيب فى حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها وهو فاقد الصحة فكذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها وأسبابها وبين أن يكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا فعلمت يقينا أنهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته ولم يبق إلا مالا سبيل اليه بالسماع والتعلم بل بالذوق والسلوك وكان قد حصل معى من العلوم التى مارستها والمسالك التى سلكتها فى التفتيش عن صنفى العلوم الشرعية والعقلية إيمان يقينى بالله تعالى وبالنبوة وباليوم الآخر فهذه الأصول الثلاثة من الأيمان كانت رسخت فى نفسى لا بدليل معين محرر بل بأسباب وقرائن وتجاريب لاتدخل تحت الحصر تفاصيلها وكان قد ظهر عندى أنه لا مطمع لى فى سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى وأن

= المريد قلبه بالشيوخ فانهم أكبر عائق عن السير فى هذا النوع من التصوف وأعظم حجاب فى التلقى عن النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة أدركت ذلك بوجدان صحيح وتلقيته فى عالم المثال من أكبر روح مربيه بعد النبى صلى الله عليه وسلم.

Marfat.com

ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال والهرب من الشواغل والعلائق ثم لاحظت أحوالى فاذا أنا منغمس فى العلائق وقد أحدقت بى من الجوانب ولاحظت أعمالى وأحسنها التدريس والتعليم فاذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة فى طريق الآخرة ثم تفكرت فى نيتى فى التدريس فإذا هى غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت فتيقنت أنى على شفا جرف هار وأنى قد أشفيت على النار إن لم أشتغل بتلافى الأحوال فلم أزل أتفكر فيه مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوما وأحل العزم يوما وأقدم فيه رجلا وأؤخر عنه أخرى لا تصدق لى رغبة فى طلب الآخرة بكرة إلا ويحمل عليها جند الهوى حملة فتفترها عشية فصارت شهوات الدنيا تجاذبنى بسلاسلها إلى المقام ومنادى الإيمان ينادى الرحيل ! الرحيل ! فلم يبق من العمر إلا قليل وبين يديك السفر الطويل وجميع ما أنت فيه من العلم والعمل رياء وتخييل فان لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد ؟ وإن لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطع(١) فعند ذلك تنبعث الداعية وينجزم العزم على الهرب والفرار ثم يعود الشيطان ويقول هذه حال عارضة إياك أن تطاوعها فانها سريعة الزوال فان أذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض والشأن المنظوم الخالى عن

---

(١) قطع الغزالى لعلائق الدنيا لم يكن فيه مختاراً ولذا فان من الحماقة أن تترك ما أنت فيه من وظائف طلباً للتصوف فقد قال ابن عطاء الله إرادتك التجريد مع إقامة الله لك فى الأسباب من الشهوة الخفية .

Marfat.com

التكدير والتنغيص والأمن المسلم الصافى عن منازعة الخصوم ربما التفتت اليه نفسك ولا يتيسر لك المعاودة فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعى الآخرة قريبا من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وفى هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار(١) إذ أقفل الله على لسانى حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسى أن أدرس يوما واحدا تطييبا لقلوب المختلفين إلى فكان لا ينطق لسانى بكلمة واحدة ولا أستطيعها البتة حتى أورثت هذه العقلة فى لسانى حزنا فى القلب بطلت معه قوة الهضم ومراءة الطعام والشراب فكان لا ينساغ لى ثريد ولا تنهضم لى لقمة وتعدى إلى ضعف القوى حتى قطع الأطباء طمعهم

---

(١) ومن هذا يتبين أن الامام حجة الاسلام الغزالى كان مصطفى مجتبى اختارته العناية الالهية وأهلته لأداء رسالة روحية عظيمة بلغ صداها المشرق والمغرب فتصوف الغزالى فى الاحياء نهل منه كل من صح عزمه على سلوك طريق القوم نعم أن هذه الطريقة التى سلكها الغزالى والمنهج الذى أبانه فى هذا الفصل كان أمراً خاصا أن وصل به إلى مقصوده فلن يكون ذلك قاعدة مطردة لكل من أراد سلوك هذه الطريق ولذا فان آمن طريق يسلكه مريدها أراده الغزالى أن يسلم نفسه للحضرة المحمدية أولا وهنا إذا صدقت النية ستتلاحق على المريد الاشارة ببعض الأذكار التى تناسب زوح السالك ومقامه وهذا لا ينافى أن يختلى المريد ببعض أذكار الكتاب والسنة كالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستغفار ، وقد لازم الغزالى الذكر باسمه تعالى « الله » حتى فتح عليه فيه .

Marfat.com

من العلاج وقالوا هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى إلى المزاج فلا سبيل اليه بالعلاج إلا بأن يتروح السر عن الهم الملم ثم لما أحسست بعجزى وسقط بالكلية اختيارى التجأت إلى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة له فأجابنى الذى يجيب المضطر إذا دعاه وسهل على قلبي الإعراض عن الجاه والمال والأولاد والأصحاب وأظهرت عزم الخروج إلى مكة وأنا أدبر فى نفسى سفر الشام حذرا أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على عزمى فى المقام بالشام فتلطفت بلطائف الحيل فى الخروج من بغداد على عزم ألا أعاودها أبدا واستهدفت لألسنة أهل العراق كافة إذ لم يكن فيهم من يجوز أن يكون الإعراض عما كنت فيه سببا دينياً إذ ظنوا أن ذلك هو المنصب الأعلى فى الدين وكان ذلك مبلغهم من العلم ثم ارتبك الناس فى الاستنباطات وظن من بعد عن العراق أن ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة وأما من قرب من الولاة وكان يشاهد إلحاحهم فى التعلق بى والانكباب على وإعراضى عنهم وعن الالتفات إلى قولهم فيقولون هذا أمر سماوى وليس له سبب إلا عين أصابت أهل الإسلام وزمرة العلم ففارقت(١) بغداد وقرقت ما كان معى من المال ولم أدخر إلا قدر الكفاف وقوت الأطفال ترخصا بأن مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفا على المسلمين فلم أر فى العالم مالا يأخذه العالم لعياله أصلح منه ثم دخلت الشام

---

(١) وكان هذا لا مفر منه لمن فى مثل همة هذا الامام الفرد طالب منه باطناً الانقطاع إلى الله فصدع قال ابن عطاء الله إرادتك الأسباب مع إقامة الله لك فى التجريد انحطاط عن الهمة العلية .

Marfat.com

وأقمت به قريبا من سنتين لا شغل لى إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلته من علم الصوفية وكنت اعتكف مدة فى مسجد دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسى ثم رحلت منها إلى بيت المقدس أدخل كل يوم الصخرة وأغلق بابها على نفسى ثم تحركت فى داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة رسول الله تعالى عليه السلام بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه فسرت إلى الحجاز ثم جذبتنى الهمم ودعوات الأطفال إلى الوطن فعاودته بعد أن كنت أبعد الخلق عن الرجوع اليه فآثرت العزلة به أيضا حرصا على الخلوة وتصفية القلب للذكر ، وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات المعاش تغير فى وجه المرام وتشوش صفوة الخلوة وكان لا يصفو لى الحال إلا فى أوقات متفرقة لكنى مع ذلك لا أقطع طمعى منها فتدفعنى عنها العوائق وأعود اليها قدمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف لى فى أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها والقدر الذى أذكره لينتفع به أنى علمت يقينا أن الصوفية هم السابقون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا فان جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة

Marfat.com

وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به وبالجملة فماذا يقول القائلون فى طريقة طهارتها — وهى أول شروطها — تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجارى منها مجرى التحريم من الصلاة استغراق القلب بالكلية بذكر الله . وآخرها الفناء بالكلية فى الله وهذا آخرها بالإضافة إلى مالا يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائلها وهى على التحقيق أول الطريقة .

وماقبل ذلك كالدهليز للسالك اليه ومن أول الطريقة تبتدأ المشاهدات والمكاشفات حتى أنهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة ، وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ؛ ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه وعلى الجملة ينتهى الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول وكل ذلك خطأ وقد بينا وجه الخطأ فى كتاب المقصد الأسنى بل الذى لا بسته تلك الحالة لا ينبغى أن يزيد على أن يقول :

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر !

وبالجملة فمن لم يرزق منه شيئاً بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة إلا الإسم ، وكرامات الأولياء على التحقيق هى بدايات الأنبياء وكان ذلك أول حال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل إلى جبل حراء فحين كان يخلو فيه بربه ويتعبد حتى قالت العرب « إن محمداً عشق ربه » وهذه

Marfat.com

حالة يتحققها بالذوق من سلك سبيلها فمن لم يرزق الذوق فيتيقنها بالتجربة والتسامع إن أكثر معهم الصحبة حتى يفهم ذلك بقرائن الأحوال يقينا ومن جالسهم استفاد منهم هذا الإيمان فهم القوم لا يشقى جليسهم ومن لم يرزق صحبتهم فليعلم إمكان ذلك يقينا بشواهد البرهان على ما ذكرناه فى كتاب (عجائب القلب) من كتب إحياء علوم الدين والتحقيق بالبرهان علم وملابسة تلك الحالة ذوق والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن إيمان فهذه ثلاث درجات « فيرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ووراء هؤلاء قوم جهال هم المنكرون لأصل ذلك المتعجبون من هذا الكلام يستمعون ويسخرون ويقولون العجب إنهم كيف يهذون وفيهم قال الله تعالى « ومنهم من يستمع اليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا ؟ » . « أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وأتبعوا أهواءهم » فأصمهم وأعمى أبصارهم ، وعما بان لى بالضرورة من ممارسة طريقتهم حقيقة النبوة وخاصيتها ولا بد من التنبيه على أصلها لشدة مسيس الحاجة اليها .

حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق إليها(١)

إعلم أن جوهر الإنسان فى أصل الفطرة خُلق خاليا ساذجا لا خبر

---

(١) وهنا يشير الامام حجة الاسلام إلى النبوة ، واضطرار كافة الخلق اليها وهذه الاشارة هى ما صرحت لك به مما اضطرنى الحق إلى سلوكه بعد ما طلبت الامر عند الشيوخ فلم أجد عندهم مطلوبى نعم لرجال الطرق =

Marfat.com

معه عن عوالم الله تعالى، والعوالم كثيرة لا يحصيها إلا الله تعالى كما قال (وما يعلم جنود ربك إلا هو) وإنما خبره عن العوالم بواسطة الإدراك وكل إدراك من الإدراكات خلق ليطلع الانسان به على عالم من الموجودات ونعنى بالعوالم أجناس الموجودات فأول ما يخلق فى الانسان حاسة اللمس فيدرك بها أجناسا من الموجودات كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة وغيرها واللمس قاصر عن الألوان والأصوات قطعاً بل هى كالمعدومة فى حق اللمس — ثم تخلق له حاسة البصر فيدرك بها الألوان والأشكال وهو أوسع عوالم المحسوسات ثم ينفخ فيه السمع فيسمع الأصوات والنغمات ثم يخلق له الذوق كذلك إلى أن يجاوز عالم المحسوسات فيخلق فيه التمييز وهو قريب من سبع سنين

= الصادقين رسالتهم فى المحافظة على عقائد المسلمين فى بعض بلاد الاسلام فلولا الطريقة التيجانية فى شمال أفريقية لمزق الاستعمار الفرنسى عقائد المسلمين فى هذه البلاد وهكذا الادريسية فى طرابلس والختمية فى السودان ولذا فان المحافظة من الحكومات الاسلامية على هذه الطرق محافظة على عقائد العوام من سموم الاستعمار والتبشير المسيحى ولكن الأمر الذى يشير اليه الغزالى هو أن الاتصال بالله لا يكون إلا من طريق النبى صلى الله عليه وسلم وإنما يتيسر هذا للخواص والعلماء الذين يستطيعون دراسة السنة والتخلق بأخلاق النبى صلى الله عليه وسلم وملاحظته فى الأذكار واستحضار صورته الشريفة فى جميع الاحوال والاقتباس من روحه والنهل من مدده الاصفى وسره الأسنى أما العوام فليس لهم إلا صحبة العارفين ليخلقوهم بالأوصاف المحمدية .

Marfat.com

وهو طور آخر من أطوار وجوده فيدرك فيه أموراً زائدة على عالم المحسوسات لايوجد منها شيء فى عالم الحس ثم يترقى إلى طور آخر فيخلق له العقل فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات وأموراً لا توجد فى الأطوار التى قبله، ووراء العقل طور آخر تنفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب وما سيكون فى المستقبل وأموراً أخر العقل معزول عنها كعزل قوة التميز عن إدراك المعقولات وكعزل قوة الحس عن مدركات التميز وكما أن المميز لو عرضت عليه مدركات العقل لأباها واستبعدها فكذلك بعض العقلاء أبى مدركات النبوة واستبعدها وذلك عين الجهل إذ لامستند له إلا أنه طور لم يبلغه ولم يوجد فى حقه فيظن أنه غير موجود فى نفسه والأكمه لو لم يعلم بالتواتر والتسامع الألوان والأشكال وحكى له ذلك ابتداء لم يفهمها ولم يقربها وقد قرب الله تعالى ذلك على خلقه بأن أعطاهم أنموذجا من خاصية النبوة وهو النوم إذ النائم يدرك ماسيكون من الغيب إما صريحاً وإما فى كسوة مثال يكشف عنه التعبير وهذا لو لم يجربه الانسان من نفسه وقيل له: (إن من الناس من يسقط مغشياً عليه كالميت ويزول عنه إحساسه وسمعه وبصره فيدرك الغيب) لأنكره وأقام البرهان على استحالته وقال القوى الحساسة أسباب الإدراك فمن لا يدرك الأشياء مع وجودها وحضورها، فبأن لا يدرك مع ركودها أولى وأحق وهذا نوع قياس يكذبه الوجود والمشاهدة فكما أن العقل طور من أطوار الآدمى يحصل فيه عين يبصر بها أنواعا من المعقولات والحواس معزولة عنها فالنبوة أيضاً عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور يظهر فى نورها

Marfat.com

الغيب وأمور لا يدركها العقل والشك فى النبوة إما أن يقع فى أماكنها أو فى وجودها ووقوعها أو فى حصولها لشخص معين ودليل إمكانها جودها ودليل وجودها وجود معارف فى العالم لا يتصور أن تنال بالعقل كعلمى الطب والنجوم فإن من بحث عنها علم بالضرورة أنها لا تدرك إلا بإلهام إلهى وتوفيق من جهة الله تعالى ولا سبيل إليها بالتجربة فمن الأحكام النجومية ما لا يقع إلا فى كل ألف سنة مرة فكيف ينال ذلك بالتجربة وكذلك خواص الأدوية فتبين بهذا البرهان أن فى الامكان وجود طريق لإدراك هذه الأمور التى لا يدركها العقل وهو المراد بالنبوة لا أن النبوة عبارة عنها فقط بل إدراك هذا الجنس الخارج عن مدركات العقل إحدى خواص النبوة ولها خواص كثيرة سواها وما ذكرناه قطرة من بحرها وإنما ذكرناها لأن معك أنموذجا منها وهو مدركاتك فى النوم ومعك علوم من جنسها فى الطب والنجوم وهى معجزات الأنبياء ولا سبيل إليها للعقلاء ببضاعة العقل أصلا ، وأما ما عدا هذا من خواص النبوة إنما يدرك بالذوق من سلوك طريق التصوف لأن هذا إنما فهمته بأنموذج رزقته وهو النوم(١) ولولاه لما صدقت به فإن كان للنبي خاصة ليس لك منها

---

(١) وهذه إشارة أخرى فى أن الاتصال الروحى بالنبى صلى الله عليه وسلم هو مبدأ فتوحات التصوف وأنه يكون أولا عن طريق النوم والرؤى فيه وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله « أنها جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة » واعلم يا أخى أن روح النبى صلى الله عليه وسلم أقرب إليك من أى روح أخرى وأن الاستمداد من حضرته

Marfat.com

أنموذج فلا تفهمها أصلا فكيف تصدق بها وإنما التصديق بعد الفهم وذلك الأنموذج يحصل فى أوائل طريق التصوف فيحصل به نوع من الذوق بالقدر الحاصل ونوع من التصديق بما لم يحصل بالقياس إليه فهذه الخاصية الواحدة تكفيك للايمان بأصل النبوة . فان وقع لك الشك فى شخص معين أنه نبى أم لا فلا يحصل اليقين إلا بمعرفة أحواله ، إما بالمشاهدة أو بالتواتر والتسامح فإنك إذا عرفت الطب والفقه يمكنك أن تعرف الفقهاء والأطباء بمشاهدة أحوالهم وسماع أقوالهم وإن لم تشاهدهم ولا تعجز أيضاً عن معرفة كون الشافعى رحمه الله فقيها وكون جالينوس طبيباً معرفة بالحقيقة لا بالتقليد عن الغير بل بأن تتعلم شيئاً من الفقه والطب وتطالع كتبهما وتصانيفهما فيحصل لك علم ضرورى بحالهما فكذلك إذا فهمت معنى النبوة فأكثرت النظر فى القرآن(١) والأخبار

= لا يتطلب إلا التوبة الصادقة والمراقبة المستمرة والاشتغال بسننه والتعبد بتلاوة القرآن وإذكار السنة أن سلوك طريق الصوفية على يد النبى صلى الله عليه وسلم أسهل بكثير من طريق الشيوخ وآمن عاقبة على أن السلوك على أيدي الشيوخ محدود الابعاد والمسافات فان الشيخ إذا رأى أن المريد يكاد يتخطاه فى السير وكثيراً ما يحصل هذا تضطرب العلائق بينهما وهنا يقف المريد فى وسط الطريق أما السير على يد النبى صلى الله عليه وسلم فانه غير محدود بل هو ساحة الاطلاق .

(١) وهذا تصريح من هذا الامام الكبير فى التصوف بما للقرآن والسنة من شأن فى الوصول إلى الله ولقد كتب سيدى محيي الدين =

Marfat.com

يحصل لك العلم الضرورى بكونه صلى الله عليه وسلم على أعلى درجات النبوة وعضد ذلك بتجربة ماقاله فى العبادات وتأثيرها فى تصفية القلوب وكيف وكيف صدق فى قوله « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » وكيف صدق فى قوله « من أعان ظالما سلطه الله عليه » وكيف صدق فى قوله « من أصبح وهمومه هم واحد كفاه الله تعالى هموم الدنيا والآخرة » فإذا جربت ذلك فى ألف وألفين وآلاف حصل لك علم ضرورى لا تمارى فيه . فمن هذا الطريق أطلب اليقين بالنبوة لا من قلب العصا ثعبانا وشق القمر فإن ذلك إذا نظرت إليه وحده ولم تنضم إليه القرائن الكثيرة

= ابن العربى حضرة المهيمن من الفتوحات المكية عن القرآن وكيف أنه السبيل الوحيد إلى الاتصال بالحق سبحانه وتعالى ، قال رضى الله عنه ما خلاصته ومعناه أن الاتصال بالحق سبحانه وتعالى إنما يكون عن قرب الانسان من المثل العليا التى خصها الله بالاصطفاء وجعلها محل رسالته ومكالمته ومظهر حضرته وخلافته ولا ريب أن المثل الأعلى الذى يحتذى ويتأهل الانسان بمحاكاته لمحل القرب هو النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم هو الصورة الكاملة من القرآن فانه لما تخلق بأخلاق القرآن فقد تخلق بأخلاق الله وأصبح محل التجليات القرآنية فان أردت الاتصال بالله فتخلق بأخلاق القرآن تكن صورة محمدية وعلى قدر عنايتك بالقرآن حفظا بجميع رواياته ودراسة لمعانيه ومعرفة لأحكامه حلالا وحرامه تنطبع فيك الصورة المحمدية وعلى قدر مظهرك من هذه الصورة يكون قربك من الله ولقد كان اطلاعى على هذا الفصل من الفتوحات سببا فى تعلمى علوم القراءات والعناية بها .

Marfat.com

الخارجة عن الحصر ربما ظننت أنه سحر وتخييل، وأنه من الله إضلال، فإنه «يضل من يشاء ويهدى من يشاء». وترد عليك أسئلة المعجزات فإن كان مستنداً إيمانك إلى كلام منظوم فى وجه دلالة المعجزة فينجزم إيمانك بكلام مرتب فى وجه الإشكال والشبهة عليها فليكن مثل هذه الخوارق إحدى الدلائل والقرائن فى جملة نظرك حتى يحصل لك علم ضرورى لا يمكنك ذكر مستنده على التعيين كالذى يخبره جماعة بخبر متواتر لايمكنه أن يذكر أن اليقين مستفاد من قول واحد معين بل من حيث لا يدرى ولا يخرج عن جملة ذلك ولا بتعيين الآحاد فهذا هو الإيمان القوى العلمى، وأما الذوق فهو كالمشاهدة والأخذ باليد ولا يوجد إلا فى طريق الصوفية فهذا القدر من حقيقة النبوة كاف فى الغرض الذى أقصده الآن وسأذكر وجه الحاجة إليه.

سبب نشر العلم بعد الأعراض عنه

ثم إنى لما واظبت على العزلة والخلوة قريباً من عشر سنين(١) وبأن

---

(١) قد تقول من يستطيع أن يختلى عشر سنين منقطعاً عن العالم فأقول لك أن الخلوة القلبية عن العالم ممكنة بفكرك والمداومة على الذكر فى السر والجهر فى القيام والقعود فى طريقك فى أثناء عملك ميسرة أن العالم يستطيع أن يكون صوفياً والسياسى كذلك والصانع والتاجر أن التصوف على الحقيقة هو استغراق القلب فى المحبوب وما خلوة الغزالى =

Marfat.com

لى فى أثناء ذلك على الضرورة من أسباب لا أحصيها مرة بالذوق ، ومرة بالعلم البرهانى ، ومرة بالقبول الإيمانى : أن الإنسان خلق من بدن وقلب ، وأعنى بالقلب حقيقة روحه التى هى محل معرفة الله ، دون اللحم والدم الذى يشارك فيه الميت والبهيمة ، وأن البدن له صحة بها سعادته ومرض فيه هلاكه ، وأن القلب كذلك له صحة وسلامة ، ولا ينجو « إلا من أتى الله بقلب سليم » وله مرض فيه هلاكه الأبدى الأخروى ، كما قال تعالى « فى قلوبهم مرض » وأن الجهل بالله سم مهلك ، وأن معصية الله بمتابعة الهوى ، داؤه الممرض ، وأن معرفة الله تعالى ترياقه المحيى ، وطاعته بمخالفة الهوى دواؤه الشافى ، وأنه لا سبيل إلى معالجته بإزالة مرضه وكسب صحته إلا بأدوية ، كما لا سبيل إلى معالجة البدن إلا بذلك . وكما أن أدوية البدن تؤثر فى كسب الصحة بخاصية فيها ، لا يدركها العقلاء ببضاعة العقل ، بل يجب فيها تقليد الأطباء الذين أخذوها من الأنبياء ، الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الأشياء ، فكذلك بأن لى ، على الضرورة . أن أدوية العبادات بحدودها ، ومقاديرها المحدودة المقدرة من جهة الأنبياء ، لا يدرك وجه تأثيرها ببضاعة عقل العقلاء ، بل يجب فيها تقليد الأنبياء الذين أدركوا تلك الخواص بنور النبوة ، لا ببضاعة العقل وكما أن الأدوية تركبت من أخلاط مختلفة وبعضها ضعف البعض فى الوزن

= ورياضته إلا وسيلة إلى صفاء السر والفرار من الشواغل عن الحق فكن صوفيا فى مكتبك وكن صوفيا فى درسك ومتجرك ومصنعك كن كالعاشق الولهان لا يمنعه عن حبه مانع أن الحب من مكنونات الجوانح .

Marfat.com

فلا يخلو اختلاف مقاديرها عن سر هو من قبيل الخواص ، فكذلك العبادات التى هى أدوية داء القلوب ، مركبة من أفعال مختلفة النوع والمقدار ، حتى أن السجود ضعف الركوع ، وصلاة الصبح نصف صلاة العصر فى المقدار ، ولا يخلو عن سر من الأسرار ، هو من قبيل الخواص التى لا يطلع عليها إلا بنور النبوة(١) ولقد تحامق وتجاهل جدا من أراد أن يستنبط ، بطريق العقل ، لها حكمة ، أو ظن أنها ذكرت على سبيل الاتفاق لا عن سر آلهى فيها ، يقتضيها بطريق الخاصية . وكما أن فى الأدوية أصولا هى أركانها ، وزوائد هى متمماتها ، لكل واحد منها خصوص تأثير فى أعمال أصولها ، كذلك النوافل والسنن متممات لتكميل آثار أركان العبادات .

وعلى الجملة : فالأنبياء أطباء أمراض القلوب ، وإنما فائدة العقل وتصرفه ، أن عرفنا ذلك ويشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه بالعجز عن درك ما يدرك بعين النبوة ، وأخذ بأيدينا وسلمنا إليها تسليم العميان إلى القائدين ، وتسليم المرضى المتحيرين إلى الأطباء المشفقين . وإلى ههنا مجرى العقل ومخطاه وهو معزول عما بعد ذلك ، إلا عن تفهم ما يلقيه الطبيب اليه .

---

(١) وهنا يشير الصوفى الكبير إلى أن فهم سر العبارة إنما تأتى عن طريق النبى صلى الله عليه وسلم وبعد تمام الوصلة به وطريقها أن تسترشد به وتصوره فى خيالك كأنك جالس بين يديه تتلقى منه ما يأمرك به من الحكم والارشادات وهذا سهل مع الممارسة وحبيب إلى القلب بعد الادمان كما قال قائلهم « لو حجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسى من الموحدين » .

Marfat.com

فهذه أمور عرفناها بالضرورة الجارية مجرى المشاهدة ، فى مدة الخلوة والعزلة . ثم رأينا فتور الاعتقادات فى أصل النبوة ، ثم فى حقيقة النبوة ، ثم فى العمل بما شرحته النبوة ، وتحققنا شيوع ذلك بين الخلق ، فنظرت إلى أسباب فتور الخلق ، وضعف إيمانهم ، فاذا هى أربعة :

١ — سبب من الخائضين فى علم الفلسفة .

٢ — وسبب من الخائضين فى طرق التصوف .

٣ — وسبب من المنتسبين إلى دعوى التعليم .

٤ — وسبب من معاملة الموسومين بالعلم بين الناس .

فإنى تتبعت مدة آحاد الخلق ، أسأل من يقصر منهم فى متابعة الشرع ، وأسأله عن شبهته وأبحث عن عقيدته وسره ، وقلت له مالك تقصر فيها ؟ فان كنت تؤمن بالآخرة ولست تستعد لها وتبيعها بالدنيا ، فهذه حماقة ، فإنك لا تبيع الاثنين بواحد فكيف تبيع مالا نهاية له بأيام معدودة ؟ وإن كنت لا تؤمن ، فأنت كافر ، فدبر نفسك فى طلب الايمان ، وأنظر ما سبب كفرك الخفى الذى هو مذهبك باطنا ، وهو سبب جرأتك ظاهراً ، وإن كنت لا تصرح به تجملا بالايمان وتشرفا بذكر الشرع !

فقائل يقول : « هذا أمر لو وجبت المحافظة عليه ، لكان العلم أجدر بذلك ، وفلان من المشاهير بين الفضلاء لا يصلى ، وفلان يشرب الخمر ، وفلان يأكل أموال اليتامى ، وفلان يأكل إدرار السلطان ولا يحترز عن الحرام ، وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة ! وهلم جرا إلى أمثاله . . .

Marfat.com

وقائل ثان يدعى علم التصـوف ، ويزعم أنه قد بلغ مبلغا ترقى عن الحاجة إلى العبادة ! .

وقائل ثالث يتعلل بشبهة أخرى من شبهات أهل الاباحة ! وهؤلاء هم الذين ضلوا عن التصوف .

وقائل رابع لقى أهل التعليم فيقول : « الحق مشكل ، والطريق اليـه منسد ، والاختلاف فيه كثير ، وليس بعض المذاهب أولى من بعض وأدلة العقول متعارضة ، فلا ثقة برأى أهل الرأى ، والداعى إلى التعليم متحكم لا حجة له ، فكيف أدع اليقين بالشك ؟ » .

وقائل خامس يقول : « لست أفعل هذا تقليداً ، ولكنى قرأت علم الفلسفة ، وأدركت حقيقة النبوة ، وأن حاصلها يرجع إلى الحكمة والمصلحة ، وأن المقصود من تعبداتها : ضبط عوام الخلق وتقيدهم عن عن التقاتل والتنازع والاسترسال فى الشهوات ، فما أنا من العوام الجهال حتى أدخل فى حجر التكليف . وإنما أنا من الحكماء أتبع الحكمة وأنا بصير بها مستغن فيها عن التقليد ! » .

هذا منتهى إيمان من قرأ مذهب فلسفة الآلهيين منهم ، وتعلم ذلك من كتب ابن سينا وأبى نصر الفارابى . وهؤلاء هم المتجملون بالاسـلام وربما ترى الواحد منهم يقرأ القرآن ، ويحضر الجماعات والصـلوات ، ويعظم الشريعة بلسانه ، ولكنه مع ذلك لا يترك شرب الخمر ، وأنواعا من الفسق والفجور ! وإذا قيل له « إذا كانت النبوة غير صحيحة فلم

Marfat.com

تصلى ؟ » فربما يقول : « لرياضة الجسد ، ولعادة أهل البلد ، وحفظ المال والولد ! » وربما قال : « الشريعة صحيحة ، والنبوة حق » فيقال : « فلم تشرب الخمر ؟ ، فيقول : « إنما نهى عن الخمر لأنها تورث العداوة والبغضاء ، وأنا بحكمتى محترز عن ذلك ، وإنى أقصد به تشحيذ خاطرى ، حتى أن ابن سينا ذكر فى وصية له كتب فيها : أنه عاهد الله تعالى على كذا وكذا ، وأن يعظم الأوضاع الشرعية ، ولا يقصر فى العبادات الدينية ، ولايشرب تليها بل تداويا وتشافيا فكان منتهى حالته فى صفاء الإيمان ، والتزام العبادات ، أن استثنى شرب الخمر لغرض التشافى » .

فهذا إيمان من يدعى الإيمان منهم ، وقد انخدع بهم جماعة ، زادهم انخداعهم ضعف اعتراض المعترضين عليهم إذا اعترضوا بمجاحدة علم الهندسة والمنطق ، وغير ذلك مما هو ضرورى لهم ، على ما بينا علته من قبل .

فلما رأيت أصناف الخلق قد ضعف إيمانهم إلى هذا الحد بهذه الأسباب ، ورأيت نفسى لازمة مجتهدة ملبة كشف هذه الشبهة ، حتى كان إفضاح هؤلاء أيسر عندى من شربة ماء لكثرة خوضى فى علومهم وطرقهم أعنى طرق الصوفية والفلاسفة والتعلمية والمتوسمين من العلماء انقدح فى نفسى أن ذلك متعين فى هذا الوقت محتوم فماذا تغنيك الخلوة والعزلة وقد عم الداء ومرض الأطباء وأشرف الخلق على الهلاك ثم قلت فى نفسى متى تشتغل أنت بكشف هذه الغمة ومصادمة هذه الظلمة والزمان زمان الفترة والدور دور الباطل ولو اشتغلت بدعوة الخلق عن طرقهم

Marfat.com

إلى الحق لعاداك أهل الزمان فى جمعهم وأنى تقاومهم . فكيف تعايشهم ؟ ولا يتم ذلكِ إلا بزمان مساعد وسلطان متدين قاهر فترخصت بينى وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة وتعللا بالعجز عن إظهار الحق بالحجة فقدر الله تعالى أن حرك داعية سلطان الوقت من نفسه لا بتحريك من خارج فأمر أمر إلزام بالنهوض إلى نيسابور لتدارك هـذه الفتنة وبلغ الإلزام حداً كان ينتهى لو أصررت على الخلاف إلى حد الوحشة فخطر لى أن سبب الرخصة قد ضعف فلا ينبغى أن يكون باعثك على ملازمة العزلة الكسل والاستراحة وطلب عز النفس وصونها عن أذى الخلق، ولم ترخص نفسك لعسر مقاساة الخلق والله تعالى يقول « بسم الله الرحمن الرحيم آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم » الآية .

ويقول عز وجل لرسوله وهو أعز خلقه ، ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين ، ويقول عز وجل « بسم الله الرحمن الرحيم يس . والقرآن الحكيم . إلى قوله إنما تنذر من اتبع الذكر » فشاورت فى ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات فاتفقوا على الاشارة بترك العزلة والخروج من الزاوية وانصاف إلى ذلك منامات من الصالحين كثيرة متواترة تشهد بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد قدر الله سبحانه على رأس هذه المائة وقد وعد الله سبحانه بإحياء دينه على رأس كل مائة فاستحكم الرجاء وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات

Marfat.com

ويسر الله الحركة إلى نيسابور للقيام بهذا المهم فى ذى القعده سنة تسع وتسعين وأربعمائه وكان الخروج من بغداد فى ذى القعدة سنه ثمان وثمانين وأربعمائه وبلغت مدة العزلة إحـدى عشر سنـة وهذه حركة قدرها الله تعالى وهى من عجائب تقديراته التى لم يكن لها انقداح فى القلب فى هـذه العزلة كما لم يكن الخروج من بغداد والنزوع عن تلك الأحوال مما يخطر امكانه أصلا بالبال والله تعالى مقلب القلوب والأحوال و (قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن) وأنا أعلم أنى وإن رجعت إلى نشر العلم فما رجعت فان الرجوع عود إلى ماكان وكنت فى ذلك الزمان أنشر العلم الذى يكسب الجاه وأدعوا اليه بقولى وعملى وكان ذلك قصدى ونيتى وأما الآن فأدعوا إلى العلم الذى به يترك الجاه ويعرف به سقوط رتبة الجاه هذا الآن هو نيتى وقصدى وأمنيتى يعلم الله ذلك منى وأنا أبغى أن أصلح نفسى وغيرى ولست أدرى أأصل إلى مرادى ؟ أم أخترم دون غرضى ولـكنى أؤمن إيمـانا يقين ومشاهدة أنه لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وأنى لم أتحرك لـكنه حركنى وأنى لم أعمل لـكنه استعملنى فأسأله أن يصلحنى أولا ثم يصلح بى ويهدينى ثم يهدى بى وأن يرينى الحق حقا ويرزقنى اتباعه ويرينى الباطل باطلا ويرزقنى اجتنابه ، ونعود الآن إلى ماذكرنا من اسبـاب ضعف الايمان بذكر طريق إرشادهم وإنقاذهم من مهالـكهم أما الذين ادعوا الحيرة بمـا سمعوه من أهـل التعليم فعلاجه ما ذكرناه فى كتاب القسطاس المستقيم ولانطول بذكره فى هذه الرسالة ، وأ ماماتوهمه أهل الأباحة فقد حصرنا شبههم فى سبعة أنواع وكشفناها

Marfat.com

فى كتاب كيمياء السعاده ، وأما من فسد إيمانه بطريق الفلسقة حتى أنكر أصل النبوة فقد ذكرنا حقيقة النبوة ووجودها بالضرورة بدليل وجود علم خواص الأدوية والنجوم وغيرهما وإنما قدمنا هذه المقدمة لأجل ذلك ، وإنما أوردنا الدليل من خواص الطب والنجوم لأنه من نفس علمهم ونحن نبين لكل عالم بفن من العلوم كالنجوم والطب والطبيعة والسحر والطلسمات مثلا من نفس علمه برهان النبوة ، وأما من أثبت النبوة بلسانه وسوى أوضاع الشرع على الحكمة فهو على التحقيق كافر بالنبوة مؤمن بحكمه له طابع مخصوص يقتضى طابعه أن يكون متبوعا وليس هذا من النبوة فى شىء ، بل الإيمان بالنبوة أن يقر بإثبات طور وراء العقل تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة والعقل معزول عنها كعزل السمع عن إدراك الالوان والبصر عن ادراك الأصوات وجميع الحواس عن إدراك المعقولات فإن لم يجوز هذا فقد أقمنا البرهان على إمكانه بل على وجوده ، وإن جوز هذا فقد أثبت أن ههنا أموراً تسمى خواص لايدور تصرف العقل حواليها أصلا بل يكاد العقل يكذبها ويقضى باستحالتها ، فاءن ـ سدس الدرهم ـ وزن دانق من الافيون سم قاتل لأنه يجمد الدم فى العروق لفرط برودته والذى يدعى علم الطبيعة يزعم أن ما يبرد من المركبات إنما يبرد بعنصرى الماء والتراب فهما العنصران الباردان ومعلوم أن أرطالا من الماء والتراب لا يبلغ تبريدهما فى الباطن إلى هذا الحد فلو أخبر طبيعى بهذا ولم يجربه لقال هذا محال والدليل على استحالته أن فيه نارية وهوائية والهوائيه والناريه لا تزيد بها برودة ، فنقدر

Marfat.com

الكل ماء وترابا ، فلا يوجب هذا الافراط بالتبريد ، فان انضم إليه حاران فبأن لايوجب أولى ويقدر هذا برهانا وأكثر براهين الفلاسفة فى الطبيعيات والالهيات مبنى على هذا الجنس فانهم تصوروا الأمور على قدر ماوجدوه وعقلوه ، ومالم يألفوه قدروا استحالته ولو لم تكن الرؤيا الصادقه مألوفة وادعى مدع أنه عند ركود الحواس يعلم الغيب لأنكره المتصفون بمثل هذه العقول ولو قيل لواحد هل يجوز أن يكون فى الدنيا شىء هو بمقدار حبة يوضع فى بلدة ليأكل تلك البلدة بجملتها ثم يأكل نفسه فلا يبقى شيئاً من البلدة وما فيها ولا يبقى هو نفسه ، لقال هذا محال وهو من جملة الخرافات ، وهذه حالة النار ينكرها مالم ير النار إذا سمعها ، وأكثر إنكار عجائب الآخرة هو من هذا القبيل ، فنقول للطبيعى قد اضطررت إلى ان تقول فى الأفيون خاصية فى التبريد ليس على قياس المعقول بالطبيعة فلم لا يجوز أن يكون فى الأوضاع الشرعية من الخواص فى مداواة القلوب وتصفيتها مالا يدرك بالحكمة العقلية ، بل لايبصر ذلك إلا بعين النبوة ، بل قد اعترفوا بخواص هى اعجب من هذا فيما أوردوه فى كتبهم وهى من الخواص العجيبة المجربة فى معالجة الحامل التى عسر عليها الطلق بهذا الشكل .

ب	ط	د
ز	ه	ج
و	ا	ح

٢	٩	٤
٧	٥	٣
٦	١	٨

يكتب على خرقتين لم يصبهما ماء وتنظر إليهما الحامل بعينها وتضعها

Marfat.com

تحت قدميها فيسرع الولد فى الحال إلى الخروج ، وقد أقروا بإمكان ذلك وأوردوه فى كتاب عجائب الخواص وهو شكل فيه تسعة بيوت يرقم فيها رقوم مخصوصة يكون مجموع مافى جدول واحد خمسة عشر قرأته فى طول الشكل أو فى عرضه أو جوانبه — فياليت شعرى من يصدق بذلك ، ثم لا يتسع عقله للتصديق بأن تقدير صلاة الصبح بركعتين والظهر بأربع والمغرب بثلاث هى لخواص غير معلومة بنظر الحكمة وسببها اختلاف هذه الأوقات وإنما تدرك هذه الخواص بنوره النبوة ، والعجب أنا لو غيرنا العبارة إلى عبارة المنجمين لتعللوا اختلاف هذه الأوقات ، فتقول أليس يختلف الحكم فى الطالع بأن تكون الشمس فى وسط السماء أو فى الطالع أو فى الغارب ، حتى يبنوا على هذا فى تسييراتهم اختلاف العلاج وتفاوت الأعمار والآجال ولا فرق بين الزوال وبين كوف الشمس فى وسط السماء وبين المغرب وبين كون الشمس فى الغارب فهل لتصديقة سبيل ، إلا أن ذلك يسمعه بعبارة المنجم لعله جرب كذبه مائة مرة ، ولا يزال يعاود تصديقه ، حتى لو قال المنجم له إذا كانت الشمس فى وسط السماء ، ونظر إليها الكوكب الفلانى ، والطالع ، هو البرج الفلانى ، فلبست ثوباً جديداً فى ذلك الوقت ، وربما يقاسى فيه البرد الشديد ، وربما سمعه من منجم وقد عرف كذبه مرات ، فليت شعرى من يتسع عقله لقبول هذه البدائه ويضطر إلى الاعتراف بأنها خواص معرفتها معجزة لبعض الأنبياء فكيف ينكر مثل ذلك فيما يسمعه من قول نبى صادق مؤيد بالمعجزات لم يعرف قط بالكذب ، فإن أنكر فلسنى إمكان هذه

Marfat.com

الخواص فى اعداد الركعات ورمى الجمار وعدد أركان الحج وسائر تعبدات الشرع ، لم يجد بينها وبين خواص الأدوية والنجوم فرقا أصلا فإن قال قد جربت شيئا من النجوم وشيئا من الطب ، فوجدت بعضه صادقا ، فانقدح فى نفسى تصديقه ، وسقط من قلبى استبعاده ونفرته ، وهذا لم أجربه . فبم أعلم وجوده وتحقيقه أن أقررت بإمكانه ، فأقول إنك لا تقتصر على تصديق ما جربته بل سمعت أخبار المجربين وقلدتهم ، فاسمع أقوال الأنبياء فقد جربوا وشاهدوا الحق فى جميع ماوردا به الشرع ، واسلك سبيلهم تدرك بالمشاهدة بعض ذلك على أنى أقول ، وأن لم تجربه فيقضى عقلك بوجوب التصديق والاتباع قطعاً ، فإنا لو فرضنا رجلا بلغ وعقل ولم يجرب المرض فمرض وله والد مشفق حاذق بالطب يسمع دعواه فى معرفة الطب منذ عقل فعجن له والده دواء فقال هذا يصلح لمرضك ، ويشفيك من سقمك فماذا يقتضيه عقله ، وإن كان الدواء مراً كريه المذاق ، أيناول ، أو يكذب ويقول ؟ أنا لا أعقل مناسبة هذا الدواء لتحصيل الشفاء ، ولم أجربه ، فلا شك أنك تستحمقه إن فعل ذلك ، وكذلك تستحمقك أهل البصائر فى توقفك ، فإن قلت فبم أعرف شفقة النبى عليه السلام ومعرفته بهذا الطب فأقول ، وبم عرفت شفقة أبيك وليس ذلك أمراً محسوسا ، بل عرفتها بقرائن أحواله وشواهد أعماله فى مصادره وموارده علماً ضرورياً لا تتمارى فيه ومن نظر فى أقوال رسول الله عليه السلام وما ورد من الأخبار فى اهتمامه بإرشاد الخلق وتلطفه فى جر الناس بأنواع الرفق واللطف الى تحسين الأخلاق وإصلاح

Marfat.com

ذات البين ، وبالجملة إلى ما يصلح إلى به دينهم ودنياهم ، حصل له علم ضرورى بأن شفقته على أمته أعظم من شفقه الوالد على ولده وإذا نظر إلى عجائب ماظهر عليه من الأفعال ، وإلى عجائب الغيب الذى أخبر عنه القرآن على لسانه وفى الأخبار ، والى ما ذكره فى آخر الزمان فظهر ذلك كما ذكره ، علم علماً ضروريا أنه بلغ الطور الذى وراء العقل وانفتحت له العين التى يتكشف منها الغيب الذى لا يدركه إلا الخواص والأمور التى لاتدركها العقول ، فهذا هو منهاج تحصيل العلم الضرورى بتصديق النبى عليه السلام فجرب وتأمل القرآن وطالع الأخبار تعرف ذلك بالعيان ، وهذا القدر يكفى فى تنبيه المتفلسفة ذكرنا لشدة الحاجة إليه فى هذا الزمان ، وأما السبب الرابع ، وهو ضعف الايمان بسبب سوء سيرة العلماء فيداوى هذا المرض بثلاثة أمور .

أحدها أن تقول أن العالم الذى نزعم أنه يأكل الحرام ، معرفته بتحريم الخمر ولحم الخنزير والربا بل بتحريم الغيبة والكذب والنميمه ، وأنت تعرف ذلك وتفعله لا لعدم إيمانك بأن معصية ، بل لشهوتك الغالبة عليك فشهوته كشهوتك ، وقد غلبته كما غلبتك ، فعلمه بمسائل وراء هذا يتميز به عنك لايناسبه زيادة زجر عن هذا المحظور المعين ، وكم من مؤمن بالطب لايصبر عن الفاكهة وعن الماء البارد ، وإن زجره الطبيب عنه ، ولا يدل ذلك على أنه غير ضار ، أوعلى أن الإيمان بالطب غير صحيح فهذا محل هفوات العلماء .

Marfat.com

الثانى أن يقال للعامى ينبغى أن تعتقد أن العالم اتخذ علمه ذخراً لنفسه فى الآخرة ويظن أن علمه ينجيه ، ويكون شفيعاً له حتى يتساهل معه فى أعماله لفضيلة علمه وإن جاز أن يكون زيادة حجة عليه ، فهو يجوز أن يكون زيادة درجة له ، وهو ممكن ، فهو إن ترك العمل يدلى بالعلم ، أما أنت أيها العامى إذا نظرت إليه ، وتركت العمل فأنت عن العلم عاطل فتهلك لسوء عملك ولا شفيع لك .

الثالث وهو الحقيقة أن العالم الحقيقى لا يصادف معصية إلا على سبيل الهفوة ولا يكون مصراً على المعاصى أصلا ، إذا العلم الحقيقى مايعرف أن المعصية سم مهلك وأن الآخرة خير من الدنيا ، ومن عرف ذلك لا يبيع الخير بما هو ادنى منه ، وهذا العلم لا يحصل بأنواع العلوم التى يشتغل بها اكثر الناس ، فلذلك لا يزدهم ذلك العلم ، إلا جرأة على معصية الله تعالى ، واما العلم الحقيقى فيزيد صاحبه خشية وخوفا ورجاء وذلك يحول بينه وبين المعاصى الا الهفوات التى لا ينفك عنها البشر فى الفترات ، وذلك لا يدل على ضعف الايمان فالمؤمن مفتن تواب ، وهو بعيد عن الأصرار والإكباب ، هذا ما اردت ان اذكره فى ذم الفلسفة والتعليم وآفاتهما من انكر عليهما لا بطريقه .

ونسأل الله العظيم أن يجعلنا ممن آثره واجتباه ، وارشده الى الحق وهداه ، والهمه ذكره حتى لا ينساه ، وعصمه عن شر نفسه حتى لم يؤثر عليه سواه ، واستخلصه لنفسه حتى لا يعبد الا اياه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

انتهى

Marfat.com

كيمياء السعادة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أصعد قوالب الأصفياء بالمجاهدة ، وأسعد قلوب الأولياء بالمشاهدة ، وحلى ألسنة المؤمنين بالذكر (١) وحلى خواطر العارفين بالفكر ، وحرس سواد العباد عن الفساد ، وحبس مراد الزهاد على السداد ، وخلص أشباح المتقين من ظلم الشهوات ، وصفى أرواح الموقنين عن ظلم الشبهات ،

---

(١) لا ريب أن الصوفية مجمعون على أن الذكر منشور الولاية فمن أعطى الذكر فقد أعطى المنشور وطريقة الغزالى التى وصل بها إلى مناه أنه اختلى بذكر بالاسم المفرد الله حتى أراد الله سبحانه وتعالى ما أراه وإسمه تعالى الله ومعناه « علم على الذات » مأذون بذكرة فى جميع الحالات لأنه الاسم الجامع لجميع الحضرات وأما بقية أسماء الله تعالى الحسنى فان الذكر بها أو ببعضها إنما يكون بناء على الاشارات فلا تشغل نفسك فى بدء السير إلا بذكر اسم الذات وبه تتأهل للدخول فى الحضرات فاذكره مستحضراً معناه متمثلا جلوسك بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم فانه الامام الذى لن يدخل أحد حضرة القدس إلا من طريقه .

Marfat.com

وقبل أعمال الأخيار بأداء الصلوات ، وأيد خصال الأحرار بأسد الصلات أحمده حمد من رأى آيات قدرته وقوته ، وشاهد الشواهد من فردانيته ووحدانيته ، وطرق طوارق سره وبره ، وقطف ثمار معرفته من شجر سجده وجوده ، وأشكره شكر من اخترق واعترف من نهر فضله وإفضاله ، وأؤمن به إيمان من آمن بكتابه وخطابه وأنبيائه وأصفيائه ، ووعده وعيده وثوابه وعقابه ، وأشهد أن لا إله الله وحده لاشريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه لأصلاب الفسقة والفجرة قاصما . ولعرى الجاحدين والمارقين قاصما . ولباغى الشك والشرك قاصما ، ولأتباع الحق والإحسان ناصراً ، فصلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

Marfat.com

عنوان معرفة النفس

اعلم — أن الكيمياء الظاهرية لا تكون فى خزائن العوام وإنما تكون فى خزائن الملوك ، فكذلك كيمياء السعادة لا تكون إلا فى خزائن الله سبحانه وتعالى ، ففى السماء جواهر الملائكة ، وفى الأرض قلوب الأولياء العارفين ، فكل من طلب هذه الكيمياء من غير حضرة النبوة فقد أخطأ الطريق(١) ويكون عمله كالدينار البهرج فيظن فى نفسه أنه غنى وهو مفلس فى القيامة كما قال سبحانه وتعالى « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أن أرسل إليهم مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبى يعلمون الناس نسخة الكيمياء ويعلمونهم كيف

---

(١) وإنما يمكنك أخذ هذه الكيمياء كما يسميها حجة الاسلام من النبى صلى الله عليه وسلم إذا توجهت بكليتك فى السير إليه واستحضرت ذاته ومثاله فى الأذكار الخلوية وأخذ هذه الكيمياء من غير حضرته صلى الله عليه وسلم قليل الجدوى وخطأ فى الطريق كما صرح رضى الله عنه به وأنت باب الله أى امرىء . . . أتاك من غيره لا يدخل .

وقد تؤخذ هذه الكيمياء عن بعض كبار العارفين ولكن عطاياهم مصحوبة بالمن وكثيرة الفتن ولأدنى خاطر من المريد يغضب الشيخ فتشتد على السالك المحن ولكن النبى صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوف رحيم فاجعله شيخك كما جعله حجة الاسلام تأمن العثار وتعش حر الروح فى الحضرة طليقا ومن رق الزوجية عتيقا .

Marfat.com

يجعلون القلب فى كور المجاهدة وكيف يطهرون القلب من الأخلاق المذمومة ، وكيف يؤدونه لطرق الصفاء كما قال سبحانه وتعالى « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » أى يطهرهم من الأخلاق المذمومة ومن صفات البهائم ويجعل صفات الملائكة لباسهم وحليتهم ، ومقصود هذه الكيمياء إن كل ما كان من صفات النقص يتعرى منه وكل ما يكون من صفات الكمال يلبسه ، وسر هذه الكيمياء أن ترجع من الدنيا إلى الله كما قال سبحانه وتعالى « وتبتل إليه تبتيلا » وفضل هذه الكيمياء طويل .

فصل فى معرفة النفس

إعلم — أن مفتاح معرفة الله تعالى هو معرفة النفس كما قال سبحانه وتعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « من عرف نفسه فقد عرف ربه » وليس شىء أقرب إليك من نفسك ، فإذا لم تعرف نفسك فكيف تعرف ربك ، فإن قلت إنى أعرف نفسى فإنما تعرف الجسم الظاهر الذى هو اليد والرجل والرأس والجثة ولا تعرف ما فى باطنك من الأمر الذى به إذا غضبت طلبت الخصومة وإذا اشتهيت طلبت النكاح ، وإذا جعت طلبت الأكل ، وإذا عطشت طلبت الشرب ، والدواب تشاركك فى هذه الأمور ، فالواجب عليك أن تعرف نفسك بالحقيقة حتى تدرى أى شىء أنت ومن أين جئت إلى هذا المكان ، ولأى شىء خلقت ، وبأى شىء

Marfat.com

سعادتك ، وبأى شىء شقاؤك ، وقد جمعت فى باطنك صفات ، منها صفات البهائم ، ومنها صفات السباع ومنها صفات الملائكة ، فالروح حقيقة جوهرك وغيرها غريب منك وعارية عندك ، فالواجب عليك أن تعرف هذا وتعرف أن لكل واحد من هؤلاء غذاء وسعادة ، فإن سعادة البهائم فى الأكل والشرب والنوم والنكاح ، فإن كنت منهم فاجتهد فى أعمال الجوف والفرج ، وسعادة السباع فى الضرب والفتك ، وسعادة الشياطين فى المكر والشر والحيل ، فإن كنت منهم فاشتغل باشتغالهم ، وسعادة الملائكة فى مشاهدة جمال الحضرة الربوبية ، وليس للغضب والشهوة إليهم طريق فإن كنت من جوهرة الملائكة فاجتهد فى معرفة أصلك (١) حتى تعرف الطريق إلى الحضرة الآلهية ، وتبلغ إلى مشاهدة الجلال والجمال وتخلص نفسك من قيد الشهوة والغضب ، وتعلم أن هذه الصفات لأى شىء ركبت فيك ، فما خلقها الله

---

(١) بالاستغراق فى الذكر والمكث فى الحضرة الالهية بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم مازجا روحك بروحه وعقلك بعقله حتى تتلقى منه الفيوضات ويتجلى عليك الحق تبعا لتجليه على الروح النبوية فاصل الامداد ينهل من هناك فلا تعرج بروحك مع الصور التى تتشكل فى بعض العارفين فان هذا أكبر حجاب واجعل شعارك ماقال الخضر لموسى « هذا فراق بينى وبينك » حتى لا تشتغل بغير التوحيد واعلم أن روح النبى صلى الله عليه وسلم أقرب الارواح اليك لأنك من نوره خلقت وعود الفرع إلى الاصل سهل الحصول .

Marfat.com

تعالى لتكون أسيرها ولكن خلقها حتى تكون أسراك، وتسخرها للسفر الذى قدّامك وتجعل إحداها مركبك والأخرى سلاحك حتى تصيد بها سعادتك ، فإذا بلغت غرضك فارم بها تحت قدميك وارجع إلى مكان سعادتك ، وذلك المكان قرار خواص الحضرة الآلهيـة ، وقرار العوام درجات الجنـة ، فتحتاج إلى معرفة هـذه المعانى حتى تعرف من نفسك شيئا قليلا ، فكل من لم يعرف هذه المعانى فنصيبه من القشور ، لأن الحق يكون عنه محجوبا .

(فصل) إذا شئت أن تعرف نفسك فاعلم أنك من شيئين الأول هذا القلب — والثانى يسمى النفس والروح ، والنفس هو القلب الذى تعرفه بعين الباطن ، وحقيقتك الباطن لأن الجسد أول وهو الآخر ، والنفس آخر وهو الأول ، ويسمى قلبا وليس القلب هذه القطعة اللحمية التى فى الصدر من الجانب الأيسر ، لأنه يكون فى الدواب والموتى ، وكل شىء تبصره بعين الظاهر فهو من هذا العالم الذى يسمى عالم الشهادة ، وأما حقيقة القلب فليس من هذا العالم لكنه من عالم الغيب فهو فى هذا العالم غريب ، وتلك القطعة اللحمية مركبه (١) وكل أعضاء الجسد عساكره

---

(١) فتنزل الأنوار القدسية من أعمال العبادات أول ما تنزل على هذه القطعة اللحمية التى هى مجمع الذرات الكهربائية فتنبث فيها وتسير فى عروق الأنسان فتمتلى النفس انشراحا وكلما كثرت الأنوار القدسية على تلك القطعة اللحمية كلما كثرت أضواؤها على الحواس الباطنة والظاهرة وقد تتراكم الانوار على هذا القلب وتكثر الأشعة النورانيه عليه حتى ليضيء الجسم =

Marfat.com

وهو الملك، ومعرفة الله ومشاهدة جمال الحضرة صفاته ، والتكليف عليه والخطاب معه وله الثواب وعليه العقاب ، والسعادة والشقاء تلحقانه ، والروح الحيوانى فى كل شىء تبعه ومعه ، ومعرفة حقيقته ومعرفة صفاته مفتاح معرفة الله سبحانه وتعالى ، فعليك بالمجاهدة حتى تعرفه لأنه جوهر عزيز من جنس جوهر الملائكة ، وأصل معدنه من الحضره الآلهية ، من ذلك المكان جاء وإلى ذلك المكان يعود .

(فصل) أما سؤالك ماحقيقة القلب فلم يجىء فى الشريعة أكثر من قول الله تعالى « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » لأن الروح جزء من جملة القدرة الإلهية وهو من عالم الأمر ، قال الله عز وجل ألا له الخلق والأمر » فالإنسان من عالم الخلق من جانب ، ومن عالم الامر من جانب فكل شىء يجوز عليه المساحة والمقدار والكيفية فهو من عالم الخلق ، وليس للقلب مساحة ولامقدار ، ولهذا لا يقبل القسمة ، ولو قبل القسمة لكان من عالم الخلق ، وكان من جانب الجهل جاهلا ومن جانب العلم عالما ، وكل شىء يكون فيه علم وجهل فهو محال ، وفى معنى آخر هو من عالم الأمر ، وعالم الأمر عبارة عن شىء من الاشياء لا يكون للمساحة والتقدير طريق اليه ، وقد ظن بعضهم أن الروح قديم فغلطوا ، وقال قوام إنه عرض فغلطوا لأن العرض لا يقوم بنفسه ويكون تابعا لغيره فالروح هو أصل ابن آدم ، وقالب ابن آدم تبع له فكيف يكون عرضا ؟

= لحقيقة كأجساد الانبياء « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيراً » .

Marfat.com

وقال قوم إنه جسم فغلطو الأن الجسم يقبل القسمة ، فالروح (١) الذى

(١) قال الدهلوى فى الحجة قول الله تعالى « ويسألونك عن الروح » الآية ،ليست نصا فى أنه لايعلم أحد من الأمة حقيقة الروح كما يظن وليس كل ماسكت عنه الشرع لايمكن معرفة البتة بل كثيراً مايسكت عنه لدقته على العامة وإن أمكن معرفته للخاصة قال واعلم أن الروح أول مايدرك من حقيقتها انها مبدأ الحياة فى الحيوان وأنه يكون حياً بنفخ الروح فيه ويكون ميتا بمفارقتها له ثم إذا أمعن فى التأمل ينجلى أن فى البدن بخاراً لطيفا متولدا فى القلب من خلاصة الاخلاط يحمل القوة الحساسة والمحركة والمدبرة وتختلف هذه القوة الحساسة باختلاف رقة هذا البخار وغلظته وصفائه وكدرة ومثل هذا البخار فى البدن مثل ماء الورد فى الورد وكمثل النار فى الفحم ثم إذا امعن فى النظر أيضا انجلى أن هذا الروح مطية الروح الحقيقية وماده لتعلقها فالشىء الذى هو به هو ليس هذا الروح ولا هذا البدن بل الروح فى الحقيقة حقيقة فردانية ونقطة نورانية لها تعلق خاص بالروح المتكون من صحه المزاج والحيوية الناشئة من التفاعل الكيميائى الناتج من الغذاء وكما لها تعلق بهذه الروح . (أولا) لها تعلق بالبدن . (ثانيا) من حيث أن البدن مطية الروح الكيميائى فالروح إذا هى الطاقة القدسية المتعلقة بالروح الكيميائية التى يسميها الدهلوى فى الحجة بالنسمة التى مطيتها البدن قال رضى الله عنه وقد تحقق عندنا بالوجدان الصحيح أن الموت انفكاك النسمه عن البدن لفقد استعداد البدن لتوليدها لاانفكاك الروح القدسى عن النسمة ،إذا تحللت النسمة فى الأمراض المدنفه وجب فى حكمة الله أن يبقى شىء من النسمة بقدر ما يصح ارتباط الروح الالهى بها وإذا مات الانسان كان للنسمة نشأة أخرى تستمد مادتها من =

Marfat.com

سميناه قلبا وهو محل معرفة الله تعالى ليس بجسم ولا عرض بل هو من جنس الملائكة ، ومعرفة الروح صعبة جداً ، لأنه لم يرد فى الدين طريق إلى معرفته لأنه لاحاجة فى الدين إلى معرفته ، لأن الدين هو المجاهدة ، والمعرفة علامة الهداية كما قال سبحانه وتعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » ومن لم يجتهد حق اجتهاده لم يجز أن يتحدث معه فى معرفة حقيقة الروح ، وأول أس المجاهدة أن تعرف عسكر القلب ، لأن الإنسان إذا لم يعرف العسكر لم يصح له الجهاد .

(فصل) إعلم أن النفس مركب القلب ، وللقلب عساكر كما قال سبحانه وتعالى — وما يعلم جنود ربك إلا هو — والقلب مخلوق لعمل الآخرة طلبا لسعادته ، وسعادته معرفة ربه عز وجل ، ومعرفة ربه تعالى تحصل له من صنع الله وهو من جملة عالمه ، ولا تحصل له معرفة عجائب العالم إلا من طريق الحواس ، والحواس من القلب والقالب مركبه ، ثم معرفة صيده ومعرفة شبكته ، والقالب لا يقوم إلا بالطعام والشراب والحرارة والرطوبة ، وهو ضعيف على خطر من الجوع والعطش فى

= الحياة البرزخية وتتصل بها الروح الالهى وهنا تنشأ الحياة البرزخيه ويمكن تشبيه الانسان البرزخى على تصوير الدهلوى وهو من المكاشفين بما يشبه الانسان المتحرك على الشريط السينمائى فهو إنسان لطيف تخلص من المادة وبقيت نسمته هذه تفاض عليها مادة الحياة فى النشأة البرزخية وقد تكتسى هذه النسمة كما قال الشيخ لباسا نورانيا أو ظلمانيا حسب عمل ابن آدم فى الحياة .

Marfat.com

الباطن ، وعلى خطر من الماء والنار فى الظاهر ، وهو مقابل أعداء كثيرة .

(فصل) وتحتاج أن تعرف العسكرين ، وذلك أن العسكر الظاهر هو الشهوة والغضب ومنازلهم فى اليدين والرجلين والعينين والأذنين وجميع الأعضاء ، وأما العسكر الباطن فمنازله فى الدماغ وهو قوى الخيال والتفكر والحفظ والتذكر والوهم ، ولكل قوة من هذه القوى عمل خاص ، فإن ضعف واحد منهم ضعف حال ابن آدم فى الدارين ، وجملة هذين العسكرين فى القلب وهو أميرهما ، فإن أمر اللسان أن يذكر ذكر ، وإن أمر اليد أن تبطش بطشت ، وإن أمر الرجل أن تسعى سعت ، وكذلك الجواس الخمس حتى يحفظ نفسه كيما يدخر الزاد للدار الآخرة ويحصل الصيد وتتم التجارة ويجمع بذر السعادة ، وهؤ لاءطا تعون للقلب كما أن الملائكة طائعون للرب سبحانه وتعالى لايخالفون أمره .

فصل فى معرفة القلب وعسكره

إعلم أنه قيل فى المثل المشهور — إن النفس كالمدينة ، واليدين والقدمين وجميع الأعضاء ضياعها ، والقوة الشهوانية واليها . والقوة الغضبية شحنتها ، والقلب ملكها ، والعقل وزيرها — والملك يدبرهم حتى تستقر مملكته وأحواله لأن الوالى وهو الشهوة كذاب فضولى مخلط ، والشحنة وهو الغضب شرير قتال خراب ، فإن تركهم الملك على ماهم عليه هلكت المدينة وخربت ، فيجب أن يشاور الملك الوزير ويجعل الوالى والشحنة تحت يد الوزير ، فإذا فعل ذلك استقرت أحوال المملكة

Marfat.com

وتعمرت المدينة ، وكذلك القلب يشاور العقل ويجعل الشهوة والغضب تحت حكمه حتى تستقر أحوال النفس ويصل إلى سبب السعادة من معرفة الحضره الألهية ، ولو جعل العقل تحت يد الغضب والشهوة هلكت نفسه وكان قلبه شقيا فى الآخرة .

(فصل) إعلم أن الشهوة والغضب خادمان للنفس جاذبان يحفظان أمر الطعام والشراب والنكاح لحمل الحواس ، ثم النفس خادم الحواس والحواس شبكة العقل وجواسيسه يبصر بها صنائع البارىء جلت قدرته ، ثم الحواس خادم العقل وهو القلب سراج وشمعة يبصر بنوره الحضرة الإلهية لأن الحنة وهى نصيب الجوف أو الفرج محتقرة فى جنب تلك الجنة ، ثم العقل خادم والقلب مخلوق لنظر جمال الحضرة الألهية ، فمن اجتهد فى هذه الصنعه فهو عبد حق من غلمان الحضرة كما قال سبحانه وتعالى — وماخلقت الجن والإنس إلا ليعيدون — معناه انا خلقنا القلب وأعطينا الملك والعسكر وجعلنا النفس مركبة حتى يسافر عليه من عالم التراب إلى أعلى عليين فإذا أراد أن يؤدى حق هذه النعمة جلس مثل السلطان فى صدر مملكته وجعل الحضرة الالهية قبلته (١) ومقصده وجعل الآخرة وطنه وقراره ، والنفس مركبه والدنيا

---

(١) يشير رضى الله عنه إلى ان القلب الذى يريد المعرفة يتوجه إلى الله بالمراقبة ووسيلة هذا عملياً على طريقة الغزالى ان تختلى للذكر مستحضراً معنى المذكور بالقلب محركا اللسان بلفظ « الله » لأنه الاسم الجامع =

Marfat.com

منزله واليدين والقدمين خدامه ، والعقل وزيره ، والشهوة عامله ،والغضب شحنته ، والحواس جواسيسه ، وكل واحد موكل بعالم من العوالم يجمع له احوال العوالم ، وقوة الخيال فى مقدم الدماغ كالنقيب يجمع عنده أخبار الجواسيس ، وقوة الحفظ فى وسط الدماغ مثل صاحب الخريطة يجمع الرقاع من يد النقيب ويحتفظها إلى أن يعرضها على العقل فإذا بلغت هذه الأخبار إلى الوزير يرى أحوال المملكة على مقتضاها ، فإذا رأيت واحداً منهم قد عصى عليك مثل الشهوة والغضب فعليك بالمجاهدة ولا تقصد قتلها لأن المملكة لا تستقر إلا بها ، فإذا فعلت ذلك كنت سعيداً وأديت حق النعمة ووجبت لك الخلعة فى وقتها ، وإلا كنت شقيا ووجب عليك النكال والعقوبه .

= للحضرات وعلى طريقة الغزالى أيضاً تستحضر النبي صلى الله عليه وسلم فى ذاكرتك لتمتزج روحك بروحه وعلى قدر امتزاج روحك بروح النبي صلى الله عليه وسلم يكون إمدادك وقد صرح الغزالى فى المنقذ بأن إمامه هو النبي المعصوم وليس للغزالى شيخ إلا النبي صلى الله عليه وسلم وطريقة الغزالى فى الوصول إلى الحضرة الالهية من باب النبوة هى أسلم الطرق وأخصرها وهى مأمونة العواقب سيما للخواص . فان قلت أليس الشيخ بلازم فى طريق الوصول إلى الله ؟ والجواب أن العوام لا يمكن انتفاعهم إلا على يد الشيوخ ومن المؤكد أن انتفاعهم من الشيوخ محدود بالشيخ ومعارفه وأسراره وأما مقامات المعرفة فليس لها إلا سبيل واحد وهو ماشرحه الغزالى فى كتبه ورسائله من الاستغراق فى الجهاد على يد النبي صلى الله عليه وسلم واتباع سنته والامتزاج بروحه صلى الله عليه وسلم -

Marfat.com

(فصل) تمام السعادة مبنى على أشياء ، قوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العلم، فيحتاج أن يكون أمرها متوسطا لئلا تزيدقوة الشهوة فتخرجه إلى الرخص فيهلك ، أو تزيد قوة الغضب فتخرجه إلى الحمق فيهلك فإذا توسطت القوتان بإشارة قوه العـدل دل على طريق الهـداية ، وكذلك الغضب إذا زاد سهل عليـه الضرب والقتـل وإذا نقص ، ذهبت الغيرة والحمية فى الدين والدنيـا ، وإذا توسـط كان الصبر والشجاعة والحكمة وكذا الشهوة إذا زادت كان الفسق والفجور ، وإن نقصت كان العجز والفتور ، وان توسطت كان العفة والقناعة وأمثال ذلك .

(فصل) إعم أن للقلب مع عسكره أحوالا وصفات بعضها يسمى أخلاق السوء ، وبعضها أخلاق الحسن ، فبالأخلاق الحسنة يبلغ درجة السعادة ، وبالأخلاق السيئة هلاكه وخروجه للشقاء ، وهذه كلها تبلغ أربعة أجناس ، أخلاق الشياطين ، وأخلاق البهائم ، وأخلاق السباع وأخلاق الملائكة ، فأعمال السوء من الاكل والشرب والنوم والنكاح هى أخلاق البهائم ، وكذلك أعمال الغضب من الضرب والقتل والخصومة هى أخلاق السباع ، وكذلك أعمال النفس وهى المكر والحيلة والغش وغير ذلك هى أخلاق الشياطين ، وكذلك أعمال العقل التى هى الرحمة والعلم والخير هى أخلاق الملائكة (١) .

---

(١) وقد جعل الله سبحانه أدوية هذه الامراض والاخلاق السيئة فى جميع سنة النبى صلى الله عليه وسلم فكل سنة دواء لمرض وكل مستحب =

Marfat.com

(فصل) واعلم أن فى جلد ابن آدم أربعة أشياء — الكلب والخنزير والشيطان والملك ، والكلب مذموم فى صفاته وليس بمذموم فى صورته وكذلك الشيطان والملائكة ذمهم ومدحهم فى صفاتهم وليس ذلك فى صورهم وخلقهم ، وكذلك الخنزير مذموم فى صفاته وليس بمذموم فى خلقته ، وقد أمر ابن آدم بأن يكشف ظلم الجهل بنور العقل خوفا من الفتنة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم — مامن أحد إلا وله شيطان ولى شيطان وان الله قد أعانى على شيطانى حتى ملكته — وكذلك الشهوة والغضب ينبغى أن يكونا تحت يد العقل فلا يفعلون شيئا إلا بأمره فإن فعل ذلك صح له حسن الأخلاق وهى صفات الملائكة وهى بذر السعادة ، وإن عمل بخلاف ذلك فخدم الشهوة والغضب صح له الأخلاق القبيحة وهى صفات الشياطين وهو بذر الشقاء ، فيتبين له فى نومه كأنه قائم مشدود الوسط يخدم الكلب والخنزير ، وكان مثله كمثل رجل مسلم يأخذ رجالا مسلمين يحبسهم عند كافرين فكيف يكون حالك يوم القيامة إذا حبست الملك وهو العقل تحت يد الشهوة والغضب وهما الكلب والخنزير .

= علاج لخلق فالسنة عقاقير الأمراض فان أردت أن تتخلص من أمراضك كلها فاعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأها أولا فى كتب السنن كسنن أبى داود مثلا واقرأ شمائل الترمذى وقلد النبى صلى الله عليه وسلم فى حركاته وسكناته وأكله وشربه كل ذلك بقدر ماتستطيع فاتقوا الله ماستطعتم » . —

Marfat.com

(فصل) واعلم أن الإنسان فى صورة ابن آدم اليوم (١) وغد تنكشف له المعانى فتكون الصور فى معنى المعانى ، فأما الذى غلب عليه الغضب فيقوم فى صورة الكلب ، وأما الذى غلب عليه الشهوة فيقوم فى صورة الخنزير لأن الصورة تابعة للمعانى ، وإنما يبصر النائم فى نومه ماصح فى باطنه ، وإنما عرفت أن الإنسان فى باطنه هذه الأربعة فيجب أن يراقب حركاته وسكناته ويعرف من أى الأربعة هو فإن صفاته تحصل فى قلبه وتبقى معه إلى يوم القيامة ، وإن بقى معه من جملة الباقيات الصالحات شىء فهو بذر السعادة ، وإن بقى معه غير ذلك فهو بذر الشقاء وابن آدم لاينفك ولاينفصل عن حركة أو سكون وقلبه مثل الزجاج وأخلاق السوء كالدخان والظلمة ، فإذا وصل إليه ذلك أظلم عليه طريق السعادة ، واخلاق الحسن كالنور والضوء ، فإذا وصل إلى القلب طهره من ظلم المعاصى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — اتبع السيئة الحسنة تمحها — والقلب

---

(١) وقد يكون فى الصورة الملك اليوم وقد يكون فى صورة النبى صلى الله عليه وسلم القوم فالتزاوج فى الروح سبب للشقاوة أو السعادة والحب هو سبب هذا التزاوج فمن أحب كلبا أو زانية أو غلاما فقد أصبحت روحة مكبلة بهذا الحجاب المؤدى إلى النار ومن استغرقت روحه فى استحضار صورة النبى صلى الله عليه وسلم حتى كأنه يراه أو حتى ينسى نفسه معه صلى الله عليه وسلم فقد دخل حضرة الله وتجلى له الحق على قدر تجليه على الروح المتعلق بها وقد يستغرق الفكر فى معنى الاسم الذى يذكره المريد حتى يتخلق بمعناه فيتجلى عليه الحق بأنوار هذا الاسم .

Marfat.com

إما مضىء أو مظلم ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم .

(فصل) واعلم أن الشهوة والغضب اللتان فى البهائم جعلتا أيضا فى ابن آدم ، ولكنه أعطى شيئا آخر زيادة عليها للشرف والكمال ، وبذلك تحصل له معرفة الله تعالى وجملة عجائب صنعه ، وبه يخلص نفسه من يد الشهوة والغضب وتحصل له صفات الملائكة، ولذلك يظفر بالسباع والبهائم وتصير كلها مسخرة له كما قال سبحانه وتعالى « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا » .

فصل فى عجائب القلوب

أعلم ان للقلب بابين للعلوم واحد للاحلام (١) والثانى لعالم اليقظة ، وهو الباب الظاهر الى الخارج فإن نام غلق باب الحواس، فيفتح له باب الباطن ويكشف له غيب من عالم الملكوت، ومن اللوح المحفوظ فيكون مثل الضوء ، وربما احتاج كشفه إلى شىء من تعبير الأحلام (٢) ، وأما

---

(١) إذا واظب المريد على الذكر بطريقة الغزالى فى مجاهداته التى أساسها الخلوة بالذكر مع تقليل الأكل والنوم والاتجاه بالكلية إلى الله عن طريق النبى صلى الله عليه وسلم فانه يفتح عليه فى النوم أولا بأن يؤمر ببعض الأعمال الصالحة من ذكر وغيره والذكر على المسبحة من مناهج الصوفية فقد رؤى الجنيد ممسكا مسبحته فى آخر حياته فقيل له فى ذلك فقال لا نترك شيئا وصلنا به إلى الله .

(٢) وهذا لأن طريق القوم فى الغالب إشارات ومبدؤها فى النوم

Marfat.com

ما كان من الظاهر فيظن الناس أن به اليقظة وأن اليقظة أولى بالمعرفة مع أنه لا يبصر فى اليقظة شيء من عالم الغيب ، وما يبصر بين النوم واليقظة أولى بالمعرفة مما يبصر طريق الحواس .

(فصل) وتحتاج أن تعرف فى ضمن ذلك أن القلب مثل المرآة ، واللوح المحفوظ مثل المرآة أيضا ، لأن فيه صورة كل موجود ، وإذا قابلت المرآة بمرآة أخرى حلت صور ما فى إحداهما فى الأخرى ، وكذلك تظهر صور ما فى اللوح المحفوظ إلى القلب إذا كان فارغا من شهوات الدنيا ، فإن كان مشغولا بها كان عالم الملكوت محجوبا عنه وإن كان فى حال النوم فارغا من علائق الحواس طالع جواهر عالم الملكوت فظهر فيه بعض الصور التى فى اللوح المحفوظ وإذا أغلق باب الحواس كان بعده الخيال لذلك يكون الذى يبصره تحت ستر القشر ، وليس كالحق الصريح مكشوفا ، فإذا مات أى القلب بموت صاحبه لم يبق خيال ولا حواس ، وفى ذلك الوقت يبصر بغير وهم وغير خيال ، ويقال له « فكشفنا عنك

= وفى اليقظة على ألسنة العارفين ينتفع بها منهم من سار على نهجهم وقد يصل المريد باشارة واحدة من أحد العارفين وقد كانوا يلقون بعضهم بعضا لينتفع كل بما عند الآخر من تجارب المجاهدات وهذه هى المشيخة والارادة فى العهد الأول أى عصر الجنيد ومن معه أما نظام التشايخ والارادة فى العصور المتأخرة فغير مفيد فى الوصول إلى الله وإنما هو إرشاد لنظام الوعظ والأمر بالمعروف ولا بأس به للعوام أما حقيقة التصوف هى التفرد بالمجاهدة كنحو نظام الغزالى والارتواء من كوثر النبوة مباشرة

Marfat.com

غطاءك فبصرك اليوم حديد .

(فصل) واعلم أنه ما من أحد إلا ويدخل فى قلبه الخاطر المستقيم - وبيان الحق على سبيل الإلهام ، وذلك لا يدخل من طريق الحواس بل يدخل فى القلب لا يعرف من أين جاء لأن القلب من عالم الملكوت والحواس مخلوقة لهذا العالم — عالم الملك — فلذلك يكون حجابه عن مطالعة ذلك العالم إذا لم يكن فارغا من شغل الحواس .

(فصل) ولا تظنن أن هذه الطاقة تنفتح بالنوم والموت فقط بل تنفتح باليقظة لمن أخلص الجهاد والرياضة وتخلص من يد الشهوة والغضب والأخلاق القبيحة والأعمال الرديئة . فإذا جلس فى مكان خال وعطل طريق الحواس ، وفتح عين الباطن وسمعه ، وجعل القلب فى مناسبة عالم الملكوت وقال دائما — الله الله الله — بقلبه دون لسانه إلى أن يصير لا خبر معه من نفسه ولا من العالم ويبقى لا يرى شيئا إلا الله سبحانه وتعالى انفتحت تلك الطاقة ، وأبصر فى اليقظة الذى يبصره فى النوم فتظهر له أرواح الملائكة والأنبياء ، والصور الحسنة الجميلة الجليلة وانكشف له ملكوت السموات والأرض ورأى ما لا يمكن شرحه ولا وصفه كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها » وقال الله عز وجل « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » لأن علوم الأنبياء عليهم السلام كلها كانت من الطريق لا من طريق الحواس كما قال الله سبحانه وتعالى « واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا » معناه الانقطاع عن كل شىء ، وتطهير القلب من كل

Marfat.com

شيء (١) ،والانتهال إليه سبحانه وتعالى بالكلية، وهو طريق (٢) الصوفية في هذا الزمان ، وأما طريق التعليم فهو طريق العلماء (٣) ،وهذه الدرجة

---

(١) لم يذكر الغزالى أنه ذهب لأحد الشيوخ وجلس بين يديه وأخذ منه العهد وصار معه كالميت بين يدى المغسل بل خلاصة تصوفه استغراق فى الذكر بالاسم المفرد فى الخلوة بمرافقه النبى صلى الله عليه وسلم كما صرح به الغزالى فى المنقذ فقد أجمع الصوفية على أن طريقهم لا بد فيه من الرفيق ألا ترى إلى مرافقة جبريل لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وفيه إشارة كبرى إلى الازدواج فى السير إلى الله لا أن يكون الشيخ حجابا للمريد عن النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) يشير رضى الله عنه إلى طريقته هو التى وصل بها إلى الله وهى تتلخص فى المجاهدة من سهر وقلة أكل وعزلة عن الناس وذكر بالاسم المفرد مستحضراً معنى الاسم « الله » الذى هو « علم على الذات » وجالساً بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم واضعافاك على ثدى النبوة لن تفطم عن ثديه صلى الله عليه وسلم حتى تلقى حبيبك :

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزلى وعدت إلى مصحوب أول منزل
ونادتنى الأشواق مهلا فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل

هذه طريقة الغزالى وهى طريق الصوفية فى القرون الأولى إلى عهد الغزالى أما ما نراه اليوم من شيوخ تجلس وحولها الاتباع يعبدون هذه الأشياء فانما ذلك كعبادة الناس فيما قبل الاسلام للكهان والأخبار ومن أكبر الحجب عن الوصول إلى الله تعلق الصور بعضها ببعض .

(٣) وهذه إشارة أخرى بل كرامة كبرى لحجة الاسلام رضى =

Marfat.com

الكبيرة مختصرة من طريق النبوة ، وكذلك علم الأولياء لأنه وقع في قلوبهم بلا واسطة من حضرة الحق كما قال سبحانه وتعالى « وآتيناه من لدنا علما » وهذه الطريقة لاتفهم إلا بالتجربة ، وإن لم تحصل بالذوق لم تحصل بالتعليم ، والواجب التصديق بها حتى لاتحرم شعاع سعادتهم وهو

= الله عنه حيث كشف الله له عن مآل التصوف بعد عصره رضى الله عنه حيث أصبح عبارة عن حلقات يتعلم فيها المريد قوانين التصوف عن بعض الشيوخ ويعيش المريد حيـاته عاكفا على التلمذة للشيخ وقد يكون الشيخ من العارفين فيهتدى المريد إلى طريق الاستقامة على يديه ولكن التصوف الذى ألف فيه الغزالى أحياءه ورسائله ليس هو هذا إنما تصوفه الذى انتهى به رضى الله عنه إلى الاطلاع على الملكوت من ملائكة وأنبياء ولوح وقلم .

فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وهذا التصوف لأصحاب الهمم العالية من أمثال الغزالى منهله النبوة مباشرة من غير توسيط الشيوخ الذين أن انتفع بهم العوام فلن يصـل الخواص إلى مطلوبهم على أيديهم نعم قد يصـل بعض المريدين على يد بعض الشيوخ كوصول أبى العباس المرسى على يد الشاذلى وبالتأمل فيما وصل اليه أبو العباس نجده قال « لو حجب عنى رسول الله طرفه عين ما عددت نفسى من الموحدين » فكانت مشيخة الشاذلى لأبى العباس مشيخة التوجيه كما كان نظام التصوف فى عهد الجنيد والقرون من بعده إلى الغزالى يأخذ المريد الإشارة من الشيخ ثم يسبح مع الله وقد لا يلتقى بصاحب إشارته صرح بهذا المعنى عبد العزيز الدباغ لتلميذه ابن المبارك .

Marfat.com

من عجائب القلب ، ومن يبصر لم يصدق كما قال سبحانه وتعالى « بل كذبو بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » وقوله « وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » .

(فصل) ولاتحسب أن هذا خاص بالأنبياء والأولياء ، لأن جوهر ابن آدم في أصل الخلقة موضوع لها كالحديد لأن يعمل منه مرآة ينظر فيها صورة العالم ، إلا الذي صدأ فيحتاج إلى إجلاء أوجدب فيحتاج إلى صقل أوسبك ، لأنه قد تلف وكذلك كل قلب إذا غلب عليه الشهوات والمعاصي لم يبلغ هذه الدرجة وإن لم تغلب عليه تلك الدرجة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على فطرة الاسلام » وقال الله تعالى « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » وكذلك بنو آدم في فطرتهم التصديق بالربوبية كما قال سبحانه وتعالى « فطرة الله التي فطر الناس » والأنبياء والأولياء هم بنو آدم قال سبحانه وتعالى « قل إنما أنا بشر مثلكم » فكل من زرع حصد ومن مشى وصل ومن طلب وجد (١) ، والطلب

---

(١) يشير رضي الله عنه إلى أن من سار على نهج القوم فلن يحرم من شرابهم فليس المقصود أن تفكر في السير لتصير مثل الغزالي أو مثل المرعي لأن هذا الخاطر من عوائق الفتوح عندهم بل أعبد الله لله لا للفتوح ولا للوصول بل أجلس في خلوتك ممسكا بيدك مسبحة الجنيد مستحضرا النبي صلى الله عليه وسلم فانك تشعر بالأنس بالله وهذا أكبر سعادة أن من جلس مع الملوك لا يحرم من عطاياهم . إنفرد بالله لا يكن همك رؤية الأولياء.

Marfat.com

لايحصل إلا بالمجاهدة ، وطلب شيخ بالغ عارف قد مشى فى هذاالطريق وإذا حصل هذان الشيئان لأحد فقد أراد الله له التوفيق والسعادة ، بحكم أزلى حتى يبلغ إلى هذه الدرجة .

(فصل) إن اللذه والسعادة لابن آدم معرفه الله سبحانه وتعالى)

إعلم أن سعادة كل شىء لذته وراحته ، ولذة كل شىء تكون بمقتضى طبعه ، وطبع كل شىء ما خلق له ، فلذة العين فى الصور الحسنة ولذة الأذن فى الأصوات الطيبة وكذلك سائر الجوارح بهذه الصفة ، ولذة القلب الخاصة بمعرفة الله سبحانه وتعالى ، لأنه مخلوق لها ، وكل مالم يعرفه ابن آدم إذا عرفه فرح به مثل الشطرنج إذاعرفها فرح بها ، ولو نهى عنها لم يتركها ولا يبقى له عنها صبر ، وكذلك إذا وقع فى معرفة الله سبحانه وتعالى فرح بها ولم يصبر عن المشاهدة ، لأن لذة القلب المعرفة ، وكلما كانت المعرفة أكبر كانت اللذة أكبر — ولذلك فان الانسان إذا عرف الوزير فرح ، ولو علم الملك لكان أعظم فرحا ، وليس موجود أشرف من الله سبحانه وتعالى لأن شرف كل موجود به منه ، وكل عجائب العالم آثار صنعته ، فلا معرفة أعز من معرفته ، ولا لذة أعظم من لذة معرفته ، وليس منظر أحسن من منظر حضرته ، وكل لذات شهوات الدنيا متعلقة بالنفس وهى تبطل بالموت ، ولذة معرفة الربوبية متعلقة بالقلب ، فلاتبطل بالموت

= والشيوخ حتى لا تعطلك هذه الصور الروحية عن المتعة بمحبوبك فقد تلتقى بولى تراه تحجبك رؤياه عن محبوبك سنين سر على طريقة الغزالى الذى اختلى عشر سنين بمئذنة دمشق فلم يخرج منها إلا بمحبوبه .

Marfat.com

لأن القلب لايهلك بالموت بل تكون لذته أكثر وضوؤه أكبر لأنه خرج من الظلمة إلى الضوء .

(فصل) واعلم أن نفس ابن آدم مختصرة من العالم ، وفيها من كل صورة فى العالم أثر منه ، لأن هذه العظام كالجبال ، ولحمه كالتراب، وشعره كالنبات ، ورأسه مثل السماء ، وحواسه مثل الكواكب ، وتفصيل ذلك طويل ، وأيضا فان باطنه صُناع العالم ، لأن القوة التى فى المعدة كالطبّاخ والتى فى الكبد كالخباز، والتى فى الأمعاء كالقصار (١)، والتى تبيض اللبن وتحمر الدم كالصباغ وشرح ذلك طويل ، والمقصود أن تعلم كم فى باطنك من عوالم مختلفة كلهم مشغولون بخدمتك ، وأنت فى غفلة عنهم ، وهم لايستريحون ، ولاتعرفهم أنت ولاتشكر من أنعم عليك بهم .

(فصل) فى معرفة تركيب الجسد ومنافع الأعضاء التى يقال عنها فى علم التشريح وهو علم عظيم ، والخلق غافلون عنه ، وكذلك علم الطب ، فكل من أراد أن ينظر فى نفسه وعجائب صنع الله تعالى فيها يحتاج إلى

---

(١) إنما تكمل هذه اللذة بتوبة كاملة من الصغائر والكبائر وشىء من المجاهدات كصوم الأيام الفاضلة والتخلق بأخلاق النبى صلى الله عليه وسلم واتباع سنته بقدر الامكان ، لأن النبوة بحر لاساحل له واستيعاب سنته عليه السلام صعب إلا على من اصطفاهم الحق وجردوا من الماديات ، والاختلاء بغار حراء التوحيد حتى تفجأ بالنور الأكمل على يد جبريل الهامك فطريق السير عبده الأنبياء وبينه الصديقون ونهج عليه الموفقون .

Marfat.com

معرفة ثلاثة أشياء من الصفات الالهية ، الأولى أن يعرف أن خالق هذا الشخص قادر على الكمال وليس بعاجز وهو الله سبحانه وتعالى ، وليس عمل فى العالم بأعجب من خلق الانسان من ماء مهين ، وتصوير هذا الشخص بهذه الصورة العجيبة كما قال الله سبحانه وتعالى « إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه» فاعادته بعد الموت أهون عليه لأن الاعادة أسهل من الابتداء ، الثانية معرفة علمه سبحانه وتعالى وأنه محيط بالأشياء كلها لان هذه العجائب والغرائب لا تمكن إلا بكمال العلم ، الثالثة أن تعلم أن لطفه ورحمته وعنايته متعلقة بالأشياء كلها ، وأنها لانهاية لها لما ترى فى النبات والحيوان والمعادن من سعة القدرة وحسن الصور والألوان .

(فصل) فى تفصيل خلقة بنى آدم لأنها مفتاح معرفة الصفات الالهية وهو علم شريف ، وذلك معرفة عجائب الصنائع الالهية ، ومعرفة عظم الله سبحانه وتعالى وقدرته ، وهو مختصر معرفة القلب ، وهو علم شريف إذ هو معرفة الصنائع الالهية لأن النفس كالفرس ، والفعل كالراكب ، وجماعهما الفارس ، ومن لم يعرف نفسه وهو يدعى معرفة غيره فهو كالرجل المفلس الذى ليس له طعام لنفسه وهو يدعى أنه يقوت فقراء المدينة فهذا محال .

(فصل) إذا عرفت هذا العز والشرف ، والكمال والجمال والجلال بعد أن عرفت جوهر القلب وأنه جوهر عزيز قد وهب لك وبعد ذلك خفى عنك ، فان لم تطلبه وغفلت عنه وضيعته كأن ذلك حسرة عظيمة عليك

Marfat.com

يوم القيامة فاجتهد فى طلبه ، واترك أشغال الدنيا كلها(١) ، وكل شرف لم يظهر فى الدنيا فهو فى الآخرة فرح بلاغم ، وبقاء بلا فناء ، وقدرة بلاعجز ومعرفة بلا جهل ، وجمال وجلال عظيمان ، وأما اليوم فليس شيء أعجز منه لأنه مسكين ناقص ، وإنما الشرف غداً إذا طرح من هذه الكيمياء على جوهر قلبه حتى يخلص منه شبه البهائم ، ويبلغ درجة الملائكة ، فان رجع إلى شهوات الدنيا فضلت عليه البهائم يوم القيامة لأنهم يصيرون إلى التراب ، ويبقى هو فى العذاب ، نعوذ بالله من ذلك ، ونستجير به ، وهو نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) اتركها بقلبك لا أن تتركها بابطال عملك و تعطيل مقومات حياتك ليس التصوف أن تترك الدنيا وتجلس فى جبل بل انزل إلى ميدان الحياة متصوفا بأن تفرد قلبك لله فلا تشحنه بالصور والمغريات والشهوات تصوف فى درسك أيها الأستاذ و تصوف أيها العامل فى عملك و تصوف أيها التاجر فى متجرك كن كالعاشق المشغول قلبه بمحبوبه بينما هو يمارس جميع أعماله الدنيوية أن الحب مركزه القلب والتصوف يدور على حب الله ورسوله والتعلق بهما والهيام فيهما .

تمت

Marfat.com

الفوز العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الموفق الذى وفق قلوب الاحباب ، لموافقة مراسيم السنة (١) وأحكام الكتاب الفتاح الذى فتح بصائر أبصارهم فأبصروا مواقع نبال الارتياب فى مقاتل أهل الحجاب الملهم الذى ألهمهم الحجة البيضاء بالمحجة الخضراء فأصابوا أبكار الصواب ناداهم بلسان شأن المحبة من جناز المودة

---

(١) لن أمل من تنبيه طلاب التصوف العالى أو تصوف الخصوص الذى رسم الغزالى حدوده ومعالمه إلى الدعائم العملية التى بنى عليها الغزالى تصوفه العالى فوصل به إلى القمة فى هذا الشأن وهنا يشير إلى الدعامة الأولى وهى الكتاب والسنة والارتواء من وردهما الصافى بلا واسطة بمطالعة كتب السنة والعمل بما فيها وتفهم الكتاب وما فيه من الأوامر والعظات ثم غذاء الروح من ذات النبى صلى الله عليه وسلم كما يتغذى النبات وينمو من أشعة الشمس

Marfat.com

كيف ينام المحب عن مشاهدة الأحباب فأكحلوا نواظرهم بأثمد السهاد(١) وجفوا من مضاجعهم أطيب الرقاد وجدوا فى أثر الاطلاب مع الطلاب وجعلوا نهارهم ليلا وأفراحهم ويلا وأرخوا لعز مولاهم ذيلا وتذللوا على الأعتاب فأقامهم فى الحاضرة والبادية وأسمعهم أوامره ونواهيه فياسعادتهم بتوفيقهم لوقوفهم على الأبواب وكشف لهم الحجاب عن جماله وكشط الضباب عن محاسن أبواب مقاله ، فردوا حيارى بمحاسن الأتراب أجروا مداممهم جريان الأنهار وأبدوا فجائعهم عن زمن تولى من جر الازار على الأوزار وطرقوا الباب فأتاهم الجواب ياعبادى أنا التواب على من أقلع عن الحوبة وإلى أناب روق لهم فى دار الوصال شراب الاتصال فناهيك به من شراب فتلذذوا بمناجاته وغابوا عن حضورهم فى حضراته(٢) وغدا كل بعقله مصاب فأين المهاجر فى الهواجر ومن أكحل المحاجر بالمناجر طوباه قد فاز بطيب الخطاب .

قد كشف المولى منيع الحجاب وأسمع الأحباب طيب الخطاب
واحضروا حضرة أنس بها غابوا فعاشوا بعد موت العقاب

---

(١) يشير رضى الله عنه إلى ركن عظيم من أركان التصوف لا يحتاج أيضا إلى واسطة وهو قيام الليل بقدر الامكان ، يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه » .

(٢) يشير رضى الله عنه إلى أن المريد يدرج نفسه فى مدارج الحب فانه إذا واظب على الذكر بالمسبحة الصوفية وتذكر الحق وتناسى نفسه مع المذكور فقد أوشك أن يشرف على عتبة التوحيد .

Marfat.com

وفى مقام القرب أدناهم لما سقاهم فى المقام الشراب (١)
واتحفوا من فضله بالوفاء محضا من الأمن أمن العتاب
لهم الملوك الشم من خلقه ضنائن الحق لعز الحجاب
قد تبعوا نهج سبيل الهدى واتبعوا حكم نصوص الكتاب
واستمسكوا بسنة خير الورى وحاسبوا من قبل يوم الحساب
وناقشوا أنفسهم خيفة من غضب الحق وهول العقاب
إذا أتى الليل تراهم به فرحى لجمع الفرق تحت النقاب
يحيونه بالذكر كى يحيهم بذكره فى جمع أهل الثواب
يراهم الحق بباهى بهم بهم عن الخلق يزول العذاب
عليهم منى سلام مما لمع البرق وهل السحاب (٢)

أحمده حمداً أستوجب به الثواب وأشكره شكراً تزيد به زيادات أولى الألباب وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة تنزهه عن الحلول والانحياز والظهور والبطون والابتداء وانتهاء والاشتهار والاحتجاب وتقدست ذاته المقدسة عن مقالات أولى الجملات من الكم

---

(١) ليس الشراب الذى يتحدث عنه الصوفية أمراً مجازيا بل هى أنوار حسية من أنوار الذكر تدخل حلوقهم وأجسامهم تتغذى منه أرواحهم فاختل فى جنح الليل وناج محبوبك كأنك تراه تشرب من شرابهم وما عليك إلا أن تجرب هذا الشراب .

(٢) هذا النظم ليس من روح كلام الامام الغزالى بل هو دخيل على رسائله كما يظهر .

Marfat.com

والكيف والأين والمكان والزمان والاياب والذهاب ، وأمجده بما أبرزه بحكمته من الأكوان عن التفكر والتدبر والمعاونة والمشاورة والراحة والنصب والانتصاب وأعظمه عن التشبيه والتمثيل والتعديل والتحويل والتبديل والتركيب والارتكاب وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله أشرف محبوب وأعظم الأشراف وأخص الاحباب أرسله بفضل الكتاب وفصل الخطاب وأيده بأفضل كتاب وأجمل خطاب أفصح الأعراب بالإعراب والاختصار والاسهاب وأعجز بلغاء الأحزاب ببدائع النفى والايجاب فأنقذ الاحباب من مهاوى الارتياب ومغاوى الاعراب وأعقب الاعراب بالعقاب على الاعقاب وكشف عن وجه نور الاسلام مكفرات ظلمات الاشراك والضباب صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والاحباب وعلى الخلفاء الراشدين الاقطاب أبى بكر وأبى حفص عمر وعثمان أبى تراب صلاة تحلنا دار النعيم وتخرجنا عن دار العذاب .

أما بعد : نفحنا الله وإياك بنسائم قربه وسقانا وإياك من كاسات حبه فان بيان كيفية طريقنا وبرهان أصل تحقيقنا مبنى على عشرة قواعد توقظ النائم وتقيم القاعد .

(القاعدة الأولى) النية الصادقة (١) الواقعة من غير التواء لقوله

(١) هذا هو الركن الأول من أركان الطريقة وهى الاتجاه الصادق للبلوغ المطلوب والتصميم الأكيد على السير فى الطريق وعدم المبالاة بما يعترضك من عقبات ولا بد من هذه العقبات تقام دونك لتمتحنك هل أنت من طلاب المحبة حقيقة أم أنت مدع كذاب والطريقة العملية =

Marfat.com

عليه الصلاة والسلام — وإنما لكل امرىء مانوى — والمراد بالنية عزم القلب وبالصادقة إنهاؤها للفعل والترك وبالواقعة استمرارها على هذه الخلة الاثيرة لان للتكرار تأثيراً ليس لغيره وعلامتها عدم تغيير جزمه بأعراض فانية وبأقوية فى عزمه فان العمل للحق فلا يترك ماعزم عليه للخلق .

(القاعدة الثانية) العمل لله من غير شريك ولا اشتراك(١) لقوله عليه السلام «أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك» وعلامته أن لا يرضى بغير الحق ويرى ماسواه قاطعا فيجتذب الخلق لقول النبى المختار «تعس عبد الدينار» وليترك له سبحانه وتعالى جميع أمانيه لقوله عليه السلام «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه» وآكدها الشبهات فاحذرها

لتحقيق هذا الركن قراءة أخبار المحبين فى كتب التصوف القديمة كرسالة القشيرى والحلية لأبى نعيم وطبقات الأولياء وأخبارهم ومن هذه القراءات وأدمانها توجد الرغبة أولا فى سلوك طريق القوم وبدون الشوق إلى بلوغ هذه المنازل لا توجد نية السير .

(١) الواقع أن الاخلاص ليس أمرا مكتسبا بل هو فى حديث السهر وردى بهامش الاحياء سر من أسرار الله يهبه لمن يشاء وانظر إلى بقية الكلام الذى بناه على الاخلاص تجده غير منسجم مع هذا الاصل وليس لهذه الكلمات عذوبة كلام الغزالى وروحانيته فترتيب عدم الرضا بغير الحق وترك جميع الأمانى وترك الشبهات على الاخلاص ترتيب غير منطقى ويغلب على ظنى أن هذه الجمل دخيلة لأنها مفككة لا يرتبط بعضها ببعض ومعناها تافه وعلاقتها بالقواعد العشرة التى تشبه أن تكون مبادىء قوانين لهذه الطريقة ضعيفة .

Marfat.com

أن تضيبك لقوله عليه السلام « دع ماير يبك إلى مالا يريبك » فاذا صحت هذه الأصول الثلاثة أثمرت أغصانها لك القربى فتكون بالصورة فى الدنيا وبالمعنى فى العقبى وعلى قدر همك وثباتك على الفعل والترك تحظى من الحديث المشهور « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور » وعلامة القناعة لاكتفاء بمايذهب الحر والبرد والمسغبة لقوله عليه الصلاة والسلام « حسب ابن آدم لقيمات يقمن بها صلبه » فلا يميل إلى صاحب القمح صاحب الشعير وإلى النقرة صاحب النقير والمستغنى بالحلال لايقصد المباح ولا يخفض إلى الشبهة الجناح وعلامة الغريب الحمل الخفيف وعدم الائتلاف بالثقيل وترك السؤال فانه يؤدى إلى ظل الذليل وعلامة عابر السبيل إسراع الاجابة ورضاه بماسيق إليه واستطابه وعلامة الميت إيثار مهمات دينه والمسألة فى غوالب حينه .

(القاعدة الثالثة) موافقة الحق بالاتفاق والوفاق (١) ومخالفة النفس

---

(١) معنى موافقة الحق بالاتفاق أن يكون هواه تبعا لما جاءت به الشريعة وعدم معاناة الأمور والسير مع مراد الله وما ذكره فى هذه القاعدة كله فهى آثار وأحوال ونتائج أعمال أما أصول الطريق فهى كما ذكرت فى كتب الصوفية ثلاثة عشر ، التوبة والخوف والرجاء والحزن والقناعة والزهد والورع والتوكل والصبر والشكر وجهاد النفس والرضا بالقضاء وترك العباد أى ترك الالتفات لأحوالهم ولو مع الخلطة بهم ليحصل التغاير بينه وبين العزلة التى هى ركن من الاركان الاربعة المجموعة فى قول بعضهم -

بيت لولاية قسمت أركانه ... سادا تنا فيه من الابدال
ما بين صمت واعتزال دائم ... والجوع والسهر الذيه الغالى

Marfat.com

بالصبر على الفراق والمشاق وترك الهوى وجفاء الملاذ والمكان والخلاف ومن تعوده خرج عن الحجاب ودخل فى الانكشاف فعاد نومه سهرا واختلاطه عزلة وشبعه جوعا وعزته ذلة ومكالمته صمتا وكثرته قلة .

(القاعدة الرابعة) العمل بالاتباع لا الابتداع لئلا يكون صاحب هوى ولا يزهو برأيه زهواً فانه لا يفلح من اتخذ لنفسه فى فعله وليا بقوله عليه السلام « عليكم بالسمع والطاعة ولو كان عبداً حبشيا ».

(القاعدة الخامسة) الهمة العلية المجردة عن تسويف يفسدك فقد جاء لاتترك عمل يومك لغدك لأن بعض الأعمال من بعض وإلا فمن رضى بالأدنى حرم الأعلى والكامل المتبع هو السنى لا المتشيع والمتنزل والمبتدع لقوله عليه السلام « ياأحبابى عليكم بالسواد الأعظم » قالوا يارسول الله وما السواد الأعظم قال « ما أنا عليه وأصحابى »

(القاعدة السادسة) العجز والذلة لا بمعنى الكسل فى الطاعات وترك الاجتهاد بل عجزك عن فعل إلا بقدرة الحق الجواد وأن ترى الخلق بعين التوقير والاحترام فان بعضهم وسائط بعض إجلالا لحضرة ذى الجلال والاكرام لأن سنة الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئا ماأضافه إليه بنفى الوسائط وإن أراد جلال حضرته تعظيما أضافه لغيره رعاية للضوابط فاذا علمت أن الكل بيد الله سبحانه وتعالى والمرجع إليه ، وتكبرت عليه إلا بأمر وصل إليك من لدنه فاجعل عجزك فى جنبه ومسكنتك بالاعتذار ولاتتصور قدرة لك فانها منازعة فى الاقتدار .

Marfat.com

(القاعدة السابعة) الخوف والرجاء معنى ، وعدم الاطمئنان بجلال الاحسان إلا عند العيان فحسن ظنك منك بالجواد الحسان .

(القاعدة الثامنة) دوام الورد (١) أما فى حق الحق أو حق العباد ، فان من ليس له ورد فماله من الموارد أمداد فالديم عمل والحق عمل بملاله

(١) هذا من أهم أركان التصوف وقد كانت طريقة الجنيد وهو استاذ هذه الطريقة الذكر الدائم والصوم الدائم والطهارة الدائمة أما الصوم الدائم والطهارة الدائمة فملومان واما الذكر الدائم فالصوفية يفضلون الذكر بالاسم المفرد وقد صرح الغزالى بأنه وصل بذكر الاسم الأعظم « الله » ومع هذا فعباقرة الطريق ذكروا باسماء أخر كان سيدى عبد الكريم الجيلى من افذاذ هذه الطريقة وقد رتب لنفسه واتباعه الذكر بثلاثة عشر إسما كل إسم يذكر مائة ألف مرة وهى هذه . لا إله إلا الله . الله هو . حى . واحد . عزيز . ودود . حق قهار . قيوم . وهاب . مهيمن : باسط . وقد رأيت بعض كتب اتباع السيد احمد الرفاعى أنهم يذكرون بهذه الاسماء وظوائف الخلواتية تذكر باغلب هذه الاسماء وكثير من رجال الطريقة البيومية يذكرون بهذه الاسماء الثلاثة عشر وليس هذا معنى أن الصوفية ليس لهم أوراد إلا هذه الاسماء بل باب الاذكار النبوية وتلاوة القرآن مفتوح على مصراعيه لطلاب الآخرة لا يحتاج إلى أذن الشيوخ كما تفهم والعوام والذكر بغير الثلاثة عشر مستحب بالكتاب والسنة ولكن شيوخ هذه الطريق قد أخذوا بهذه الاسماء بالهام الالهى والاوامر الروحية والسائرون الصادقون فى هذا الطريق يؤمرون بذكر مخصوص كل بما يناسب حاله فلكل اسم خواصه وتجلياته التى تختلف باختلاف حال السائر وعلى المريد فى إبتداء أمره أن يذكر بالأسماء التى ذكر بها أئمة هذه الشأن إلى أن يفتح الله فيؤمر بالأذكار التى تناسبه .

Marfat.com

بخلاف الذى يغيث بأعماله وأقواله فان النفس تنبسط بذلك جهراً وسراً وتراعى حقوق العباد كما يتوقع منهم خيراً وشراً فيحب ويبغض لهم مايحب ويبغض لنفسه خيراً وشراً ويعمل لله تعالى مايرضى كما يجب أن يفعل الله به مايرضى .

(القاعدة التاسعة) المداومة على المراقبة ولا يغيب عن الله سبحانه وتعالى طرفة عين ، فمن داوم على مراقبة قلبه لله سبحانه وتعالى ونفى غير الله وجد الله وإحسانه وعلم اليقين يحصل ذلك لك بجملته وهو أن ترى الحركات والسكنات والأعيان بتحريكه وتسكينه وقدرته سبحانه لايستغنى عنه شىء ثم تزيد مراقبته(١) إلى أن ترقى إلى عين اليقين ثم يفنى عن ذلك

---

(١) هذا الركن فى نظرى هو أهم أركان هذا الطريق والمراقبة المطلوبة فى طريق الصوفية نوعان مراقبة الحق سبحانه ومراقبة المشرف الروحى على القلب السائر أما مراقبة الحق سبحانه فالمقصود منها عند الصوفية مناجاة الحق سبحانه بأسمائه وصفاته كأنك تراه ويقول الصوفية فى كتبهم أن هذه المراقبة عندهم هى مبدأ السير فى ركب المحبين وأما مراقبة المشرف الروحى فهى ملاحظة رفيق القلب الروحى ويعبر عنه فى كتب التصوف بالشيخ فملاحظة الشيخ عندهم ضرورية للسير فى هذا الطريق الذى تقف فيه الخواطر الشيطانيه سداً منيعا ومما لا ريب فيه أن الخواطر الشيطانية التى تعرض المريد فى مبدأ الطريق تحتاج لمطاردة عنيفة وروحانية المريد فى مبدأ الطريق قد لا تستطيع القيام بحمل الكفاح فى هذه المعركة وحدها فلا بد من رفيق روحى فى السير وكلما كانت روح هذا الرفيق نفاذة =

Marfat.com

به وذلك حقيقة اليقين فيقول مارأيت شيئا إلا ورأيت الله فيه سبحانه وتعالى هو القيوم على كل شيء بقيوميته وذلك الشيء هو القائم بأمره وبقدرته على حسب المشاهدة والمحاضرة فتأدب مع الخلق وعاشر أحسن

= فعالة فى عالم الأرواح كلما استراح المريد فى سيره وتجلى عليه الحق بتجلى الروح المرافق وقد تحقق عندى بالوجدان الصحيح بعد تجاربى واجتماع بصوفية عصرى من أكابر العارفين أن مرافقه روح النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الطريق أكبر معوان على اجتياز عقبات هذا الطريق أما قول متأخرى الصرفية أن الشيخ موصل للنبى صلى الله عليه وسلم فهذا الكلام إن كان معناه أن عوام السائرين الذين لم يدرسوا ، السنة ولم يتذوقوا الاقتداء به صلى الله عليه وسلم لا يتوصلون إلى الاقتداء به صلى الله عليه وسلم إلا عن طريق محاكاة شيوخهم فهذا أمر مسلم وهو مافى طاقة عوام السائرين فى هذا الطريق وإن كان معناه أن روحانية المريد بشيخه توصله إلى الاستمداد من النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة فهذا أمر غير مسلم بل أن روحانية المريد بالشيخ حجاب عن النبى صلى الله عليه وسلم بل يعيش مثل هذا المريد منطويا فى شيخة إلى الأبد والتزاوج الروحى يعسر منه الفكاك واذا يحسن أن يتجه المريد مباشرة خصوصا إن كان من أهل للعلم والمعرفة إلى التزاوج بروح النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة كما فعل الغزالى وأمثاله فاذا ضممت التزاوج بروح النبى صلى الله عليه وسلم إلى مبادىء الجنيد الثلاثة تصير الأركان أربعة .

الذكر الدائم . الطهارة الدائمة . الصوم الدائم ، المراقبة بقسميها على الدوام .

Marfat.com

المعاشرة قال عليه الصلاة والسلام « أدبنى ربى فأحسن تأديبى »

(القاعدة العاشرة) علم يجب الاشتغال به ظاهراً وباطناً اجتهاداً الآن من ظن أنه استغنى عن الطاعة فهو مفلس معادا لقوله سبحانه لا رب سواه « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » فهذا ما بنيت على أعمدة قواعده قصورا من غير قصور ، وأسست عليه شوامخ الحجار لربات الحجور ، وحرثته بمحراث فدن وبذرته بصنوف حبوب السعادة وغرست فى فرادسه مغارس الأذكار وأجريت فى جناته من الأوراد والأنهار وفرشته بشقائق نعمان المجاهدة ومهدته بحدائق حقائق المكابدة راجيا حصاد زرعى بمناجل الهمم وقاصدا غنيمة إنفاق من مواهب الكرم ، والله تعالى يزكيه ويربيه ويرتع فيه من ظهر فيه ومن التحق به ممن يحييه إنه الجواد الكريم البر الرحيم والسلام على من اتبع الهدى فما ابتدع ونفع وانتفع ولحق بعباد الله الصالحين وحزبه المفلحين ورحمته وبركاته وصلى الله وسلم على سيدنا محمد نور أنوار المعارف وسر أسرار العوارف وعلى آله وصحبه وتابعى سبيله وحزبه والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتعم البركات . « آمين » .

(تمت)

Marfat.com

الآداب الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلقنا فأكمل خلقنا ، وأدبنا فأحسن تأديبنا ، وشرفنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فأحسن تشريفنا ، ثم أقول وبالله التوفيق إن أكمل الأخلاق وأعلاها ، وأحسن الأفعال وأبهاها ، هو الأدب فى الدين وما يقتدى به المؤمن من فعل رب العالمين ، وأخلاق النبيين والمرسلين ، وقد أدبنا الله تعالى فى القرآن بما أرانا فيه من البيان وأدبنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى السنة بما أوجب علينا فله المنة ، وكذلك بالصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل الأدب من المؤمنين بما أوجب علينا من الاقتداء بهم ، وذلك جليل خطره ، كثير عدده ، نذكر بعضه لئلا يطول شرحه فيعسر فهمه .

آداب

أدب المؤمن بين يدى (١) الله تعالى - إطراق الطرف وجمع الهم

(١) المراد منه إذا كان العبد فى مجلس ذكر أو فى الصلاة وفى الحقيقة

Marfat.com

ودوام الصمت ، وسكون الجوارح . ومبادرة امتثال الأوامر ، واجتناب المناهى ، وقلة الاعتراض ، وحسن الخلق ، ودوام الذكر ، وتنزيه الفكر وتقييد الجوارح ، وسكون القلب ، وتعظيم الرب ، وقلة الغضب ، وكتمان الحب ، ودوام الإخلاص ، وترك النظر إلى الأشخاص وإيثار الحق ، واليأس من جميع الخلق ، وإخلاص العمل ، وصدق القول ، وتنزيه (١) الاطلاع ، وإحياء القربات ، وقلة الإشارة ، وكتمان الفائدة (٢) ، والغيرة على تبديل الاسم ، والغضب عند انتهاك المحرم ، ودوام الهيبة (٣) ، واستشعار الحياء ، واستعمال الخوف والسكون ثقة بالضمان ، والتوكل معرفة بحسن الاختيار ، وإسباغ الوضوء على المكاره ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، وارتعاش القلب خوف فوت الفرص ، ودوام التوبة (٤) خوف الإصرار ، ودوام التصديق

= معظم الآداب التى سيذكرها أمام التصوف الأوحد ـ آثار ونتائج للتصوف القلبى ولذا فتكلف هذه الآداب غير مجد إلا ما كان منها عمليا فجمع لهم مثلا عمل قلبى نتيجة لا ستغراق القلب فى المراقبة وهكذا الشأن فى دوام الإخلاص وكتمان الحب .

(١) لعل المراد الرضا بجميع أفعال الله واعتقاد الحكمة فيما تقع عليه البصيرة .

(٢) لعل المراد عدم افشاء سر المحبوب كما هو دستور المحبة .

(٣) أى ملاحظة جلال الحق فى جميع الحركات .

(٤) فى الواقع دوام التوبة ركن الاستقامة بل هو الدعامة التى تقوم عليهما جميع الأخلاق والأعمال فان حصل منه ذنب استغفر بلسانه وقلبه سئل

Marfat.com

بما غاب ، ووجل القلب عند الذكر ، وزيادة الأنوار عند الوعظ ، واستشعار التوكل عند الفاقة ، وإخراج الصدقة من غير بخل من الإمكان .

آداب العالم — لزوم العلم والعمل به، ودوام الوقار ، ومنع التكبر وترك الدعاء به ، والرفق بالمتعلم ، والتأنى بالمتعجرف ، وإصلاح المسألة للبليد ، وترك الأنفة من قول لا أدرى ، وتكون همته عند السؤال خلاصه من السائل لإخلاص السائل ، وترك التكلف ، واستماع الحجة والقبول لها وإن كانت من الخصم .

آداب المتعلم مع العالم — يبدؤه بالسلام ، ويقل بين يديه الكلام ، ويقوم له إذا قام ، ولا يقول له قال فلان خلاف ماقلت ، ولا يسأل جليسه فى مجلسه ، ولا يبتسم عند مخاطبته ، ولا يشير عليه بخلاف رأيه ، ولا يأخذ بثوبه إذا قام ، ولا يستفهمه عن مسألة فى طريقه حتى يبلغ إلى منزله ، ولا يكثر عليه عند ملله .

آداب المقرىء — يجلس جلسة الخشية ، واستماع الأمر ، وإنصات الفهم ، وانتظار الرحمة ، والإصغاء إلى المتشابه ، وإشارة الوقف وتعريف الابتداء ، وبيان الهمزة ، وتعليم المد ، وتجويد الحرف ،

= سهل بن عبدالله عن الاستغفار الذى يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار الاستجابه ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة أعمال الجوارح والانابة أعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاه بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذى هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر .

Marfat.com

وفائدة الخاتم ، والرفق بالمبادىء ، والسؤال عن المتعلم إذا غاب ، والحث له إذا حضر ، وترك الحديث ، ويبدأ المتلقن يلقنه ما يصلى لنفسه أو إذا احتاج الى أن يؤم غيره (١) .

آداب القارىء — يجلس بين يديه جلسة التواضع ؛ وجمع الهمم وخفض الرأس ، والاستئذان قبل القراءة ، ثم الاستعاذة والتسمية ، والدعاء عند الفراغ .

آداب معلم الصبيان - يبدأ بصلاح نفسه ، فإن أعينهم إليه ناظرة ، وآذانهم إليه مصغية ، فما استحسنه فهو عندهم الحسن ، وما استقبحه فهو القبيح ويلزم الصمت فى جلسته ، والتوقر فى نظره ؛ ويكون معظم تأديبه بالرهبة ، ولا يكثر الضرب والتعذيب . ولا يحادثهم فيجترئون عليه ولا يدعهم يتحدثون فيبسطون بين يديه ، ولا يمازح بين أيديهم

---

(١) ومن أهم الآداب أن يكون التعليم لله فلا يأخذ عليه أجراً ومعنى الاصغاء إلى المتشابه أى لفت نظر القارىء إلى ما فى القرآن من متشابه نحو « يد الله فوق أيديهم » فيفهم القارىء أن هذا مما استأثر الله بعلمه فلا يبحث فيه بل يقول « كل من عند ربنا » وفائدة الخاتم أى إرشاد القارىء إلى فوائد الختم وما فيه من استجابة الدعاء . وعلى المعلم أن يحيى سنة الاسناد فيجيز تلاميذه بما يقرءون عليه ولو بعض المصحف كما هى سنة السلف واعلم أن تجويد الحروف وإعطاءها حقها ومستحقها وإخراجها من مخارجها بصفاتها فرض وبدون هذا يكون القرآن محرفا عن مواضعه حرام تلاوته والصلاة به آثم صاحبها يجب عليه إعادتها مادام الوقت باقيا للنقص الذى فيها بسبب القراءة المحرمة لعدم التجويد .

Marfat.com

أحداً ، ويتنزه عما يعطونه ، ويتورع عما بين يديه يطرحونه ، ويمنعهم من التحريش ، ويكفهم من التفتيش ، ويقبح عندهم الغيبة ، ويوحش عندهم الكذب والنميمة ، ولا يسألهم عن أمر بيوتهم فيستثقلوه ، ولا يكثر الطلب من أهلهم فيملوه ، ويعلمهم الطهارة والصلاة ، ويعرفهم ما يلحقهم من النجاسة .

آداب المحدث — يقصد الصدق ، ويتجنب الكذب ، ويحدث بالمشهور ، ويروى عن الثقات ، ويترك المناكير ، ولا يذكر ماجرى بين السلف ، ويعرف الزمان ، ويتحفظ من الذلل والتصحيف واللحن والتحريف ، ويدع المداعبة ، ويقل المشاغبة ، ويشكر النعمة إذا جعل فى مقام الرسول ﷺ ، ويلزم التواضع ، ويكون معظم ما يحدث به ما ينتفع به المسلمون من فرائضهم وسننهم وآدابهم من معانى كتاب ربهم عز وجل ، ولايحمل علمه إلى الوزراء ، ولا يغشى (١) . أبواب الأمراء فإن ذلك يزرى بالعلماء ، ويذهب بهاء علمهم إذا حملوه إلى ملوكهم ومياسيرهم ، ولا يحدث بما لايعلمه فى أصله ولا يقرأ عليهم

---

(١) قد تحقق ما أخبر به الغزالى من ذهاب بهاء العلماء وقف بأبواب الملوك والروح الدينية الآن مبثوثة لا عن طريق العلماء بل عن طريق قوة الدين الكامنة فى فطر المسلمين وطبائعهم الموروثة والذى يصيب المسلمين من العلماء الآن هو تشويش هذه الفطر بآراء فطيرة كالبحث فى التوسل والوسيلة وتكفير المسلمين الذين يزورون الأولياء ويتبركون بهم وكذم التصوف والمتصوفين .

Marfat.com

مالا يراه فى كتابه ، ولا يتحدث إذا قرىء عليه ، ويحذر أن يدخل حديثاً فى حديث .

آداب طالب الحديث — يكتب المشهور ، ولا يكتب الغريب ، ولا يكتب المناكير(١) ، ويكتب عن الثقات ، ولا تغلبه شهرة الحديث للسماع ، ويلزم الصمت بين يدى محدثه ، ويكثر التلفت عند إصلاح نسخته ، ولا يقول سمعت وهو ما سمع ، ولا ينشره لطلب العلو فيكتب من غير ثقة ، ويلزم أهل المعرفة بالحديث من أهل الدين ، ولا يكتب عمن لا يعرف الحديث من الصالحين .

آداب الكاتب — حسن الخط ، وجودة البرى ، وإعراب اللفظ ، ومعرفة الحساب ، وسداد الرأى ، وحسن اللباس ، وطيب الرائحة ، والمعرفة بأخبار المتقدمين من الوزراء المتصرفين ، والتخوف من المصادرات ، والعلم بأمر الخراج ، والمسامحة والخبرة فى الموادات ، وترك الانخرام(٢) ، والتنزه عن الحرام ، واستعمال المروءة ، وحسن

---

(١) الحديث المشهور ما أول إسناده فرد ثم تعددت طرقه فيما بعد الصحابى الأول كحديث إنما الأعمال بالنيات طرأت له الشهرة من عند يحيى بن سعيد والحديث الغريب ما انفرد الراوى بروايته والمنكر الذى لا يعرف متنه من غير جهة راويه .

(٢) لعل المراد التبصر فى الأمور حتى لا تأتى على خلاف نظام الدولة =

Marfat.com

العشرة ، والتحفظ عن الذلة ، وترك الرفث فى المجالس ، ونفى المداعبة والمحادثة والمداراة للحاشية .

آداب الواعظ — ترك التكبر ، ودوام الحياء من سيده (١) وإظهار الفاقة إلى خالقه ، وشهوة المنفعة لمستمعه ، والإزراء على نفسه لمعرفة عيبه ، والنظر إلى المستمعين إليه بعين السلامة ، وحسن الظن بهم بباطن الديانة ، والإياس منهم طلبا للصيانة ، والرفق بالتأديب ، والعطف فى المبتدىء ، واعتقاد فعل ما يقول لينتفع الناس بما يقول .

آداب المستمع — إظهار الخشوع ، ودوام الخضوع (٢) ، وسلامة الصور ، وحسن الظن ، واعتقاد القول ، ودوام السكوت ، وقلة التقلب وجمع الهم ، وترك النهمة .

آداب الناسك — يكون وقته معلوما ، وورده مفهوماً ، وكلامه

= وتشبه وظيفة الكاتب فى العصور الوسطى نظام « السكرتير » فى عصرنا هذا

(١) فيلاحظ أنه قد يعظ الناس وهو شر منهم فيتصاغر فى نفسه فيعظم عند ربه رؤى أحد الوعاظ بعد موته فسئل ما فعل الله بك فقال أوقفنى بين يديه وقال أنت الذى تعظ الناس ولا تعظ نفسك فقلت لكنى يامولاى كنت أبدأ وعظى وأختمه بالصلاة على نبيك قال فعفا عنى ،

(٢) أن ضميمة الخشوع إلى الخضوع فى هذا المقام ليس من طريق رص الألفاظ فقد رأيت فى النوم سيدى أحمد الفرغل فقبلت قدمه وقلت له ياسيدى بم أصل إلى الله فقال بالخشوع والخضوع .

Marfat.com

مقسوما ، ودمعه مسجوما ، دائما خشوعه ، لازما خضوعه غاضة لطرفه ، عافا لقلبه ، مفكراً فى دينه ، مراقبا لوقته ، مداوماً لصومه ، ساهراً فى ليله ، متورعاً فى مسكنه ، متقللا فى مطعمه ومشربه ، متوقعاً لنزول أجله ، مجانباً لقرنائه ، تاركا لشهواته ، محافظاً على صلواته ، عالماً بزيادة حاله ونقصانه ، لايحتاج إلى علم غيره مع علمه بحاله .

آداب اعتزال الناس — يكون فقيها فى دينه ، عارفا بأمر صلاته وصيامه وزكاته وحجه ؛ يعتقد فى اعتزالهم دفع شره عنهم ، ويحضر الجمع والجماعات ، ويشهد الجنائز ويعود المرضى ، ولا يخوض فى حديثهم ، ولا يسأل عما يفسد قلبه من أخبارهم ، ولايطمع نفسه فى نائلهم حتى لا يكون له حاجة إلى جيرانه ؛ تكون أوقاته ثلاثة إما أن يصلى ويدرس فيغنم ، أو ينظر فى كتبه فيتعلم ، أو ينام فيسلم يدمن الذكر ، ويكثر الشكر حتى يتم له الأمر ، فإن كان له أهل يتحدث معهم ، ويجتهد فى خلوته حتى يرى ميزان عزلته .

آداب الصوفى (١) ـ قلة الإشارة ، وترك الشطح فى العبارة ،

---

(١) الصوفى على الحقيقة العبد الذى أخرجه الله عن هواه وأصبح صورة محمدية أوقاته معمورة بالطاعات وأنفاسه مشغولة فى الحضرات لسانه رطب بذكر الله لا يجلس مجالس اللغو ولا يعرف بجامع اللهو لا يحيد عن السنة التى تأسست عليها الطريقة فقد كان الجنيد المتوفى سنة سبع وتسعين ومائتين ـ يقول وهو سيد هذه الطائفة ـ الطرق كلها مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ـ وقال ـ من لم =

Marfat.com

والتمسك بعلم الشريعة ، ودوام الكد ، واستعمال الجد ، والاستيحاش

= يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر لأن عملنا ومذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة .وقد نبغ فى هذه الطريقة أعلام من الأمة المحمدية من النساء والرجال فمنهم من بلغ القمة فى المحبة كرابعة ونفيسة ومنهم من بلغ القمة فى الحكمة كالغزالى ومنهم من بلغ القمة فى العلم كالسيوطى وعطاء الله لا يمكن حصره ومدد النبى صلى الله عليه وسلم لايحيط عقل بكنهه بركاتهم لا تنكر وأنوارهم أظهر من القمر إلا نور وقد ذكر الغزالى فى هذا الفصل أدب الصوفى ولم يذكر مريداً ولا شيخا فالتصوف عنده دستور بكنهه يطبق على كل من يريد أن يسلك طريق القوم فالمشيخة عنده كما كانت عند متقدمى الصوفية هى الصحبة والصحبة من لوازم الصوفية بها يتلقح الصغير من الكبير فى أثناء السير وفى الفتوحات المكية أنه كان لاحد السائرين إلى الله رفيق يصوم النهار ويقوم الليل فقال له رفيقه وكان يجتمع بأبى يزيد البسطامى لو رأيت ابا يزيد مرة واحدة لرأيت العجب من خالك فقال المريد المجد فى الطاعة غاية الجهد لاحاجة لى بأبى يزيد فليس فى طاقتى أن أجتهد فى الطاعة أكثر من ذلك فقال له صاحبه أن رؤيتك لابى يزيد مرة خير من عبادتك فأجابه المجتهد إلى ما طلب وانتظرا أبا يزيد ينزل من الجبل الذى يختلى فيه آخر النهار فلما رأى أبا يزيد أغمى عليه فقال أبو يزيد ان صاحبك صادق مع الله وكان يتجلى له الحق على قدر روحه فيطيق فلما رآنا تجلى له الحق على قدرنا فلم يطق فرؤية الرجال تنهض الهمم قال ابن عطاء الله ، لا تصحب إلا من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله ، وقد تطورت هذه الصحبة التى تشير اليها قصة الخضر وموسى عليهما السلام فى سورة الكهف والتى كانت فى

Marfat.com

من الناس وترك الشهرة فى اللباس ، وإظهار التجمل ، وإشعار التوكل ، واختيار الفقر ، ودوام الذكر ، وكتمان المحبة ، وحسن العشرة فى الصحبة ، والغض عن المردان ، وترك مؤاخاة النسوان ، ودوام درس القرآن .

آداب الشريف — يصون شرفه ، ولا يأكل بنسبه ، ولا يتعدى بحسبه همته التواضع لربه والخوف من سيده ، ويأخذ الفضل على من دونه ، ولا يساوى من هو مثله ، يعرف الفضل لأهل العلم وإن كان مثلهم فى العلم أو أعلم ، يلازم أهل الدين من أهل الفقه والقرآن ، ويهذب أخلاقه ، ويتحفظ فى ألفاظه عند غضبه وخطابه ، يكرم جلسائه ، ويواصل إخوانه ، ويصون أقاربه ؛ ويعين جيرانه ، ويزين بتنمسه أخدانه .

= الصدر الاول للتوجيه فقط - إلى تلمذة ميتة ينعدم فيها الصغير مع الكبير ويفقد شخصيته فتكبت روحه لانها موضوعة فى أدنى وهى من العوالم العلوية فلا تشرق فى الكبت ولا تنشرح فالمريد لا يتعدى شيخه ولا ينسلخ من متابعته يعيش تابعا ويموت تابعا بهذا مات التصوف الحر الطليق من الرسوم والأوراد مات التصوف الرجل كابن الفارض وابن العربى والحلاج والغزالى وبقى ما يتحدث عنه الغزالى فى الاحياء بأنه تصوف من اغتروا بالزى والهيئة والمنطق فقلدوا الصادقين فى آدابهم وأحوالهم الظاهرة فى السماع والرقص والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله فى الجيب وفى تنفس الصعداء وفى خفض الصوت فى الحديث مع أنهم لم يتعبوا أنفسهم بالمجاهدات ومراقبة القلب وتطهير الباطن .

Marfat.com

آداب النوم — يتطهر قبل النوم ، وينام على يمينه ، ويذكر الله عزوجل حتى يأخذه النوم ، ويدعو إذا استيقظ ، ويحمد الله تعالى .

آداب التهجد ـ تقليل الغذاء (١) ونقصان الماء ، وإصلاح النهار

---

(١) لاتظن أن المقصود تقليل الغذاء كنظام الرياضات حتى يصل المرء إلى أن يعيش على تمرة كما تقرأ ذلك فى كتب الصوفية بل المراد أن يكون المرء فى تهجده غير ممتلىء حتى يشعر بالخشية واعلم أن الصوفية الذين وصل غذاؤهم إلى تمرة لم يكن هذا منهم متكلفا بل كان حالالهم لا اختيار لهم فيه أما مثلى ومثلك فان خرج عن السنة ضل وتاه وعدم الغذاء سبب الجنون والهوس أخرج إسماعيل القاضى من حديث أبى قلابة رضى الله عنه قال : « أراد ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفضوا الدنيا وتركوا النساء وترهبوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فغلظ فيهم المقالة فقال إنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم فى الديار والصوامع » الحديث وروى عن ابن عباس فى سبب نزول « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » قال نزلت هذه الآية فى رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو بكر وعمر وعلى وابن مسعود وعثمان بن مظعون والمقداد بن الأسود الكندى وسالم مولى أبى حذيفة رضى الله عنهم اجتمعوا فى دار عثمان بن مظعون الجمحى فتواثقوا أن يجبوا أنفسهم بأن يعتزلوا النساء ولا يأكلوا لحما ولا دسما وأن يلبسوا المسوح ولا يأكلوا من الطعام إلا قوتا وأن يسيحوا فى الأرض كهيئة =

Marfat.com

باجتناب الغيبة والكذب واللغو ، وترك المحرمات ، والقيام من النوم

= الرهبان فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمرهم فأتى عثمان بن مظعون فى منزله فلم يجده فيه ولا إياهم فقال لامرأة عثمان أم حكيم إبنة أبى أمية بن حارثة السلمى : أحق ما بلغنى عن زوجك وأصحابه ـ قالت ما هو يارسول الله فأخبرها فكرهت أن لا تحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرهت أن تبدى على زوجها فقالت إن كان أخبرك عثمان فقد صدق فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولى لزوجك وأصحابه إذا رجعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكم إنى آكل وأشرب وآكل اللحم والدسم وأنام وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى فلما رجع عثمان وأصحابه أخبرتهم إمرأته بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا فما أعجبه فذروا ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان قلت ففهم التصوف إذاً ؟ قلت إن التصوف الذى لا يضيع الجسم ولا العقل معه والذى يمكن من غير عنت وحرج على رياضة الروح بالذكر فى الخلوة بقدر الامكان وحفظ الأنفاس من الضياع مع الناس فاذا أمكن ذلك فى منزلك أو فى الأماكن الخالية كالمساجد والمعابد فبها وإلا فبخلوة الروح والقلب مع ملازمة المدرب الروحى ولا أحب لك مدربا إلا ما أحب لنفسى وهو النبى صلى الله عليه وسلم وفائدة المدرب الروحى هو أن يوصل اليك ما تحتمله من الأنوار والتجليات ويدفع عنك الشياطين والجن الذين يكرهون الانسان ويزينون له الشهوات ويوسوسون له بالشبهات والخلوة بالذكر من غير مدرب روحى غير مجدية بل ربما كان ضررها بليغا ومن نتائج الذكر وامتلاء القلب به

Marfat.com

بفزع وخوف ، وإسباغ الوضوء ، والنظر فى ملكوت السموات والدعاء والحضور فى الصلاة لفهم التلاوة .

آداب الخلاء — التسمية ، ثم الاستعاذة قبل الدخول ، وكشف الثوب برفق بعد قربه من الأرض ، ومسح اليد بالثوب بعد الاستنجاء مع الغسل ، والاستتار قبل الخروج ، والحمد والشكر بعد الخروج .

آداب الحمام — ستر العورة ، وغض البصر عن العورات ، وطلب الخلوة ، وترك التكلم ، وقلة التلفت ، ومنع السلام ، وقلة الجلوس ، وغسل الجنابة من قبل الدخول ، وغسل القدمين إذا خرج بالماء البارد فإنه يذهب الصداع .

آداب الوضوء — السواك ، ودوام الذكر مع الغسل ، واستشعار الهيبة ممن يقصد ، وبالتوبة مما كان ، والسكوت بعد الطهارة حتى يدخل فى الصلاة ، والطهارة فى أثر الطهارة ، وأخذ الشارب ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وتقليم الأظافر ، والاختتان ، وغسل البراجم ، وتعاهد الأنف ، ونظافة الثوب والبدن .

آداب دخول المسجد — يبدأ باليمنى ، ويزيل مافى نعله من الأذى ، ويذكر اسم الله عزوجل ، ويسلم على من حضر ، فإن كان خالياً سلم على نفسه ، ويسأل الله تعالى أن يفتح له أبواب رحمته ، ويجلس فى مواجهة

= أن يقل الغذاء وربما يطوى بعض الصوفية الذاكرين يومين من غير أكل رأيت ذلك من أحد العارفين الذين صحبتهم طريق القوم .

Marfat.com

القبلة ، ويلزم المراقبة ، ويقل المخاطبة ، ويترك الملاعنة ، ولا يرفع فيه صوته ، ولا يشهر فيه سيفه ، ويمسك بنصال نبله ، ولا يصنع صنعته ، ولا ينشد ضالة ، ولا يبايع ولا يشارى ولا يجامع ، فإذا انصرف بدأ باليسرى ، وسأل الله تعالى من فضله ما يعطى .

آداب الاعتكاف — دوام الذكر ، وجمع الهم ، وترك الحديث ، ولزوم الموضع ، وترك التنقلات ، وحبس النفس عن مرادها ، ومنعها من محابها ، وجبرها على طاعة الله عز وجل .

آداب الأذان — يكون المؤذن عارفا بوقته فى الصيف وفى الشتاء ، غاضا لطرفه عند صعود المنارة ، ويلتفت فى أذانه عند النداء بالصلاة والفلاح ، ويرتل الأذان ، ويحدر فى الإقامة .

آداب الإمام — يكون عارفا بالصلاة وفرائضها وسننها ، فقيها بما يحدث له فى صلاته وما يفسدها ، ولا يؤم قوما وهم له كارهون ، يجعل من يليه من أهل العلم ويأمرهم بتسوية الصفوف ، ويشير إليهم بلطف ، ولا يقرأ بطوال السور فيضجروا ، ولا يطيل التسبيح فيملوا ، ولا يخفف بحيث يفوت الكمال بل يرتب الصلاة على قدر قوة أضعفهم ، ويترفق فى ركوعه وسجوده حتى يطمئنوا ، ويسكت سكتة قبل الحمد ، وبعد الحمد . وإذا فرغ من السورة ، وينتظر فى ركوعه من أحس به مالم يجحف بمن وراءه ، وينتظر قبل الصلاة من فقد من جيرانه مالم يخف فوت وقته ، ويفرق بين التسليمتين بوقفة خفيفة ، وإذا فرغ نظر إلى ستر الله عليه ومنته ، وازداد شكراً لسيده ، وأدام له فى كل حالاته الذكر .

Marfat.com

آداب الصلاة ـ خفض الجناح ، وازوم الخشوع ، وإظهار التذلل وحضور القلب ، ونفى الوسواس ، وترك التقلب ظاهراً وباطناً وهدوء الجوارح ، وإطراق الطرف ، ووضع اليمين على الشمال ، والتفكر فى التلاوة ، والتكبير بالهيبة ، والركوع بالخضوع ، والسجود بالخضوع والتسبيح بالتعظيم ، والتشهد بالمشاهدة ، والتسليم بالإشفاق والانصراف بالخوف والسعى بطلب الرضا .

آداب القراءة ـ مداومة الوقار والحياء ، ومجانبة العبث والخنا ، ولزوم التواضع والبكاء . وخفض الجناح وسؤال الافاقة ، ولجأ الغريق ومعرفته بقدر نفسه ، وعظيم حرمة المسئول ، وبسط الكف عند الرغبة ، واليقين بالإجابة والخوف من الخيبة ، وانتظار الفرج وترك العدوان ، وصحة القصد واللجأ ، ومسح الوجه بباطن الكف بعد الدعاء .

آداب الجمعة ـ التأهب للوقت قبل دخوله والطهارة عند حضوره ، والبكور ، وغسل الجسد ونظافة الثوب ، وطيب الرائحة وترك التخطى وقلة الكلام ، ودوام الذكر (١) ، والقرب من الإمام .

---

(١) أقل مراتبه الذكر باللسان قال ابن عطاء الله فى حكمه « لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز » .

Marfat.com

والإنصات للخطيب والانتشار لطلب العلم ، والمشى بالسكينة والوقار وترك تشبيك الأصابع ، وبقارب الخطى ، ودوام الإطراق ، وكثرة الشكر للرزاق ودخوله المسجد بالخشوع ورد السلام ، وترك الصلاة بعد جلوس الخطيب على المنبر ، ورد السلام عليه بعد إشارته ، وترك الكلام واعتماد القبول للموعظة . وترك الالتفات عند إقباله ومخاطبته وترك القيام إلى الصلاة حتى ينزل من المنبر ، ويفر من الإقامة .

آداب الخطيب — يأتى المسجد وعليه السكينة والوقار ويبدأ بالتحية ويجلس وعليه الهيبة ، ويمتنع من التخاطب ، وينتظر الوقت ، ثم يخطو إلى المنبر وعليه الوقار كأنه يجب أن يعرض ما يقول على الجبار ، ثم يصعد بالخشوع ويقف على المرقاة بالخضوع ، ويرتقى بالذكر ويلتفت إلى مستمعه باجتماع الفكر ، ثم يشير إليهم بالسلام ليستمعوا منه الكلام ثم يجلس للأذان فزعا من الديان ، ثم يخطب بالتواضع ولا يشير بالأصابع ، ويعتقد ما يقوله ليلتفع به ، ثم يشير إليهم بالدعاء ، وينزل إذا أخذ المؤذن فى الإقامة ، ولا يكبر حتى يسكتوا ثم يفتتح الصلاة ويرتل ما يقرأ .

آداب العيد — إحياء ليلته ، والاغتسال فى صبيحة يومه ونظافة البدن وطيب الرائحة وإدامة التكبير ، وكثرة الذكر ، واستعمال الخشوع والتسبيح ، والحمد بين تضاعيف التكبير ، والإنصات للخطبة بعد الصلاة ، وأكل اليسير قبل الخروج إن كان فطراً ، والذهاب فى طريق والرجوع فى أخرى ، والانصراف بالإشفاق خوف الغيبة .

Marfat.com

آداب الخسوف ـ دوام الفزع وإظهار الجزع ، ومبادرة التوبة ، وترك الملل ، وسرعة القيام إلى الصلاة طول القيام فيها واستشعار الحذر

آداب الاستسقاء ـ الصيام قبله ، وتقديم التوبة ، ورد المظالم ، وبذل الهمة وترك المفاخرة ، والاغتسال قبل الخروج ، ودوام الصمت ورؤية الحالة التى أوجبت المنع ، والاعتراف بالذنب الذى نزلت به العقوبة واعتقاد ترك العود ، والإنصات للخطبة ، والتسبيح بين التكبير وكثرة الاستغفار ، وتحويل الإزار مع الدعاء .

آداب المريض ـ الإكثار من ذكر الموت ، والاستعداد له بالتوبة ودوام الحمد والثناء لله ، واستعمال التضرع والدعاء ، وإظهار العجز والفاقة والتداوى مع الاستعانة بخالق الدواء ، وإظهار الشكر عند القوة ، وقلة الشكوى وإكرام الجلساء ، وترك المصافحة .

آداب المعزى ـ خفض الجناح ، وإظهار الحزن ، وقلة الحديث ، وترك التبسم فإنه يورث الحقد .

آداب المشى مع الجنازة ـ دوام الخشوع ، وغض البصر ، وترك الحديث وملاحظة الميت بالاعتبار ، والتفكر فيما يجيب به من السؤال والعزم على المبادرة فيما يخاف به من المطالبة ، وخوف حسرة الفوت عند هجوم الموت .

آداب المتصدق ـ ينبغى له أداؤها قبل المسألة ، وإخفاء الصدقة عند العطاء ، وكتمانها بعد العطاء ، والرفق بالسائل ولا يبدؤه برد الجواب

Marfat.com

ويرد عليه بالوسوسة فى الوسوسة ، ويمنع نفسه البخل ، ويعطيه ماسأل أو يرده رداً جميلا ، فإن عارض العدو إبليس لعنه الله أن السائل ليس يستحق فلا يرجع بما أنعم الله به عليه بل هو مستحق لها .

آداب السائل ـ يبدى الفاقة بصدق الحقيقة ، ويظهر السؤال بلطافة القول ، ويأخذ ما أعطى بمقابلة الشكر وإن قل ، وحسن الدعاء ، فإن رد عليه رجع بجميل قبول العذر ، وترك المعاودة والإلحاح(١) .

آداب الغنى ـ لزوم التواضع ، ونفى التكبر ، ودوام الشكر ، والتوصل إلى أعمال البر ، والبشاشة بالفقير والإقبال عليه ورد السلام على كل أحد ، وإظهار الكفاية ، ولطافة الكلمة ، وطيب المؤانسة ، والمساعدة على الخيرات .

آداب الفقير ـ لزوم القناعة وكتمان الفاقة ، وترك البذالة والتضعضع وإلقاء الطمع وإيثار الصيانة ، وإظهار الكفاية لأهل المروءة من أهل الديانة ، وإجلال الأغنياء مع قلة الاستبشار لهم ، وإظهار الكفاية لهم مع الإياس منهم ، وترك الكبر عليهم ، مع نفى التذلل ، وحفظ القلب

---

(١) لعل الأولى حذف مثل هذه التراجم من كتب المسلمين إذ أدرى أن للسؤال أدابا بعد أن ذكر الغزالى فى الأحياء انه حرام تحت عنوان باب تحريم السؤال من غير ضرورة ومثل هذا أداب الفقير هذه تعاليم تنافى عزة الاسلام وأهله والأولى أن تكتب الفصول فى علاج هذا المرض واستئصاله من جسم الأمة .

Marfat.com

عند رؤيتهم ، والتمسك بالدين عند مشاهدتهم .

آداب المهدى ـ رؤية الفضل للمهدى إليه ، وإظهار السرور بالقبول لها ، والشكر عند رؤية المهدى إليه ، والاستقلال لها وإن كثرت .

آداب المهدى إليه ـ إظهار السرور بها وإن قلت ، والدعاء لصاحبها إذا غاب ، والبشاشة إذا حضر ، والمكافأة إذا قدر ، والثناء عليه إذا أمكن ، وترك الخضوع له ، والتحفظ من ذهاب الدين معه ، ونفى الطمع ثانياً .

آداب اصطناع المعروف ـ البداءة قبل السؤال ، والمبادرة به عند الوعد ، والتوقير له عند العطاء ، والستر له بعد الأخذ ، وترك المنة بعد القبول ، والمداومة على اصطناعه والحذر من انقطاعه .

آداب الصيام ـ طيب الغذاء ، وترك المراء ومجانبة الغيبة ، ورفض الكذب وترك الأذى ، وصون الجوارح عن القبائح .

آداب الحج

آداب الطريق ـ طيب النفقة ، والإحسان إلى المكارى ، ومعاونة الرفقة والرفق بالمنقطع ، وبذل الزاد ، وحسن الخلق وطيب الكلمة ، والمزاح من غير معصية ، واختيار التعديل ، والاستبشار به عند رؤيته والإصغاء عند محادثته ، وقلة المماراة له عند ضجره ، والتغافل عن زلته والشكر له عند خدمته ، والتوصل إلى إيثاره ومساعدته .

Marfat.com

آداب الإحرام ـ غسل الجسد ونظافة الإزارين ، وطيب الرائحة وتعاهد الجماع والتلبية بالهيبة ورفع الصوت بحلاوة الإجابة ، والطواف بتعظيم الحرمة ، والسعى بطلب الرضاء ، والوقوف بمشاهدة القيامة ، وشهود المشعر برؤية الرحمة والحلق برؤية العتق ، والذبح برؤية الكفارة والرمى برؤية الطاعة ، وطواف الزيارة بمشاهدة المرور وهو من غير حد والرد بحقيقة الأسف ، والانصراف بمحبة الرجوع .

آداب دخول مكة ـ دخول الحرم بالتعظيم والنظر إلى مكة بالتحسر ورؤية المسجد بالتفضيل ، ونظار البيت بالتكبير والتهليل ، ودوام الطواف ومواصلة العمرة ، ودخول البيت بتعظيم الحرمة ، ودوام التوبة بعد دخوله .

آداب دخول المدينة ـ يدخلها بالوقار مع السكينة ، والمشاهدة لما كان فيها من الشريعة ، والنظر إليها بالعين الرفيعة ، ثم يأتى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومنبره كأنه مشاهد لصلاته وخطبته ، ثم يأتى قبره(١) وكأنه ناظر إلى شخصه الكريم ، ومخاطبته مع خفض الصوت بحضرته كأنه معاين لجلسته ؛ فيبدؤه السلام ، ثم يسلم على ضجيعيه ويشاهد محبتهما له ومشيته بينهما ، وإقباله عليهما ، وإذا ودع القبر فلا يوليه الظهر .

---

(١) لعلى من محن الإسلام الكبرى أن يظهر فى المسلمين علماء ينفرون المسلمين من زيارة قبر النبي عليه السلام ويتفيقهون بحديث شد الرحال وليس هنا محل نقاشهم .

Marfat.com

آداب التاجر - لا يجلس فى طريق المسلمين فيضيق عليهم ، و يستعمل غلاما كيسا لا يبخس فى كيله ، ولا ينقص فى وزنه ، يأمره بالرجحان وترك العجلة فى الميزان ، يكون ميزان دراهمه فى حدته كالطيار ، و من اعتداله كالمعيار ، طويلة خيوطه دقيقة ذوائبه ، معبرة صنجاته معتدلة حياته ، يبتدى كل يوم بمسح ميزانه ، ويتصاعد نقص أرطاله و صنجاته يأمر غلامه بالتوقف فى كيله الأدهان ، وإذا وقف عليه شريف أكرمه أوجار فضله ، أو ضعيف رحمه ، او غير هؤلاء أنصفه . يبيع على قدر أسعاره إن نقص سعره زاد زبونه ، كما أنه إن زاد سعره نقص زبونه وتكون همته فى جلوسه درس القرآن وغض الطرف عن المحارم و الغلمان يشترى عرضه باليسير من سفيه يقف عليه . لا يرد السائل ولا يمنع البشر من النائل ، فإن كان هو المتولى لأمره كان ما يلزم غلامه هو أولى به ، ويشترى الأرطال والصنجات والمكيال من الثقات معبرات ويترك المدح للسلعة عند البيع ، والذم لها عند الشراء ويلزم الصدق عند الاخبار ويحذر الفحش عند المزايدة ، والكذب عند المحادثة ويقل الخوض مع أهل الأسواق ومداعبة الأحداث ويقصر فى الخصومات .

آداب الصيرفى - يعتقد الصحة ويؤدى الأمانة ويحذر الربا ويقرب المسئية ولا ينفق الرديئة ويوفى الوزن ولا يعتقد الغش والغبن متفقداً لعياره ، خائفا من نقصان صنجاته ومثاقيله .

آداب الصائغ - استعمال النصيحة ، والاجتهاد فى الجودة وقلة المطل ووفاء الوعد ، وترك التعدى فى الأجرة .

Marfat.com

آداب الأكل - غسل اليدين قبل الطعام وبعده ، والتسمية والأكل باليمين ومما يليه ، ويصغر اللقمة وإجادة المضغ ؛ وقلة النظر إلى وجوه الحاضرين ، ويأكل متكئاً ولا يأكل فوق الشبع وفوق الجوع ، ويعتذر إذا شبع حتى لا يخجل الضيف أو من به حاجة ، ويأكل من جوانب القصعة ولا يأكل من ذروتها ، وينظف الأصابع بعد الفراغ ، ويحمد الله ولا يذكر الموت عند الأكل لئلا ينغص على الحاضرين .

آداب الشرب - ينظر فى إنائه قبل شربه ، ويسمى الله تعالى قبله ويحمده بعده ، ويمصه مصا ولا يعبه عبا ، ويتنفس فى شربه ثلاثا يتبعه بالتحميد ويرد بالتسمية ولا يشرب قائما ، ويناول من كان على يمينه إن كان معه غيره .

آداب الرجل إذا أراد الزواج - يطلب الدين ثم بعده الجمال والمال إن أراد ، ولا يشارط على ما يأتيه ، ولا يضمره ولا يخطب على خطبة أخيه ولا يأذن فى املاكه وعرسه بما يباعده من ربه ويزريه ، ولا يجلس فى خلواته حيث يرى غيره حرمته ، ويقبلها بين أهله وأهلها ويبدؤها إذا خلا فى سؤاله ، ولا يكون سفيره كذبا ، ولا المخبر له نماما بل من خاصتها ويسأله عن دينها هو ومواظبتها على صلاتها ومراعاتها لصيامها ، وعن حيائها ونظافتها وحسن ألفاظها وقبحها ولزوم عقر بيتها وبرها بوالديها ، ويتلطف قبل العقد فى النظر إليها ، وبعده بما يبلغها بالكلام الجميل ، ويبحث عن خصال والدها ودينه وحال والدتها ودينها وأعمالها .

Marfat.com

آداب المرأة إذا خطبها الرجل — تأمر من تأمن به من أهلها إن كان صدوقا أن يسأل عن مذهب الخاطب ودينه واعتقاده ومروءته فى نفسه وصدقه فى وعده وتنظر من قرباؤه ، ومن يغشاه فى بيته ، وعن مواظبته على صلواته وجماعته ونصيحته فى تجارته وصنعته ، ويكون رغبتها فى دينه دون ماله أو فى سيرته دون شهرته ، تعزم معه على القناعة وتكون لأوامره مطيعة فهو آكد للألفة وأثبت للمودة .

آداب الجماع - طيب الرائحة ولطافة الكلمة وإظهار المودة ، وتقبيل الشهوة والتزام المحبة ، ثم التسمية وترك النظر إلى الفرج فإنه يورث العمى والستر تحت الإزار وترك استقبال القبلة .

آداب الرجل مع الزوجة - حسن العشرة ولطافة الكلمة وإظهار المودة والبسط فى الخلوة والتغافل عن الزلة ، وإقالة العثرة وصيانة عرضها وقلة مجادلتها وبذل المؤنة بلا بخل لها وإكرام أهلها ودوام الوعد الجميل ، وشدة الغيرة عليها .

آداب المرأة مع زوجها — دوام الحياء منه وقلة المماراة له ولزوم الطاعة لأمره والسكوت عند كلامه والحفظ له فى غيبته وترك الخيانة فى ماله وطيب الرائحة وتعهد الفم ونظافة الثوب وإظهار القناعة واستعمال الشفقة ودوام الزينة وإكرام أهله وقرابته ورؤية حاله بالفضل وقبول فعله بالشكر وإظهار الحب له عند القرب منه وإظهار السرور عند الرؤية له .

آداب الرجل فى نفسه - لزوم الجمعة والجماعة ونظافة الملبس وإدامة السواك ولا يلبس المشهور ولا المحقور ، ولا يطيل ثيابه تكبراً

Marfat.com

لا يقصرها تمسكنا ، ولا يكثر التلفت فى مشيته ، ولا ينظر إلى غير حرمته ولا يبصق فى حال محادثته ولا يكثر القعود على باب داره مع جيرانه ولا يكثر لإخوانه الحديث عن زوجته وما فى بيته .

آداب المرأة فى نفسها — أن تكون ملازمة لمنزلها ، قاعدة فى قعر بيتها ، لا تكثر صعودها ولا اطلاعها الكلام جيرانها ، ولا تدخل عليهم إلا فى حال يوجب الدخول تسر بعلمها فى نظره ، وتحفظه فى غيبته ولا تخرج من بيته وإن خرجت فمتخبئة تطلب المواضع الخالية مصونة فى حاجاتها بل تتماكر ممن يعرفها ، همتها إصلاح نفسها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصومها ناظرة فى عيبها متفكرة فى دينها دائمة صمتها غاضة طرفها مراقبة لربها كثيرة الذكر له طائعة لبعلها تحشه على طلبه الحلال ، ولا تطلب منه الكثير من النوال ظاهرة الحياء قليلة الخناء صبور شكور مؤثرة فى نفسها مواسية من حالها وقوتها وإذا استأذن بيابها صديق لبعلها وليس بعلها حاضراً لم تستفهمه ، ولا فى الكلام تعاوده غيرة منها على نفسها وبعلها منه .

آداب الاستئذان ـ المشئ بجانب الجدار ولا يقابل الباب والتسبيح والتحميد قبل الدق والسلام بعده وترك السمع إلى من فى المنزل واستئذان بعد السلام فإن أذن له وإلا رجع ولم يقف ولا يقول أنا بل يقول فلان إذا استفهم .

آداب الجلوس على الطريق — غض البصر ونصر المظلوم وإغاثة الملهوف وإغاثة الضعيف وإرشاد الضال ورد السلام وإعطاء السائل وترك التلفت والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالرفق واللطف فإن أصر

Marfat.com

فبالرفاهة والعنف ولا يصغى إلى الساعى ببينة ولا يتجسس ولا يظن بالناس إلا خيراً .

آداب المعاشرة - إذا دخل مجلساً أو جماعة سلم وجلس حيث المتسع وترك التخطى وخص بالسلام من قرب منه إذا جلس وإن بلى بمجالسة العامة ترك الخوض معهم ولا يصغى إلى أراجيفهم ويتغافل عما يجرى من سوء ألفاظهم ، ويقل اللقاء لهم إلا عند الحاجة ولا يستصغر أحداً من الناس فيهلك ولا يدرى لعله خير منه وأطوع لله منه ، ولا ينظر إليهم بعين التعظيم فى دنياهم لأن الدنيا عند الله صغيرة ما فيها ولا يعظم قدر الدنيا فى نفسه فيعظم أهلها لأجلها فيسقط من عين الله ولا يبذل لهم دينه لينال من دنياهم فيصغر فى أعينهم ولا يعاديهم فتظهر لهم العداوة ولا يطيق ذلك ولا يصبر عليه إلا أن تكون معاداة فى الله عز وجل فيعادى أفعالهم القبيحة وينظر إليهم بعين الشفقة والرحمة ، ولا يشكر إليهم فى مودتهم له وإكرامهم إياه وحسن بشاشتهم فى وجهه وثنائهم عليه فإن من طلب حقيقة ذلك لم يجده إلا فى الأقل وإن سكن إليهم وكله الحق إليهم فهلك ولا يطمع أن يكونوا له فى الغيب كما هم له فى العلانية فإنه لا يجد ذلك أبداً ولا يطمع فيما فى أيديهم فيذل لهم ويذهب دينه معهم ولا يتكبر عليهم ، وإذا سأل أحداً منهم حاجة فقضاها فهو أخ مستفاد وإن لم يقضها فلا يذمه فيكتب عداوته ولا يعظ أحداً منهم إلا ان يرى فيه أثر القبول وإلا عاداه ولم يسمع منه ، وإذا رأى منهم خيراً أو كرامة أو ثناء فليرجع بذلك إلى الله عز وجل ويحمده ويسأله أن لا يكله إليهم ، وإذا رأى

Marfat.com

منهم شراً أو كلاما قبيحاً أو غيبة أو شيئاً يكرهه فليقل الأمر إلى الله تعالى ويستعذبه من شرهم ويستعينه عليهم ولا يعاتبهم فإنه لا يحمد عندهم للعتاب موضعاً ويصيرون له أعداء. ولا يشفى غيظه بل يتوب إلى الله من الذنب الذي به سلطهم عليه، ويستغفر الله منه وليكن سميعا لحقهم أصم عن باطلهم

آداب الولد مع والديه — يسمع كلامهما ويقوم لقيامهما ويمتثل لأمرهما ويلبي دعوتهما ويخفض لهما جناح الذل من الرحمة ولا يرهقهما بالإلحاح ولا يمن عليهما بالبر لهما ولا بالقيام بأمرهما ولا ينظر إليهما شزراً ولا يعصي لهما أمراً.

آداب الوالد مع أولاده — يعينهم على بره ولا يكلفهم من البر فوق طاقتهم ولا يلح عليهم في وقت ضجرهم، ولا يمنعهم من طاعة ربه ولا يمن عليهم بتربيته.

آداب الإخوان — الاستبشار بهم عند اللقاء والابتداء بالسلام والمؤانسة والتوسعة عند الجلوس والتشييع عند القيام والإنصات عند الكلام، وتكره المجادلة في المقال وحسن القول للحكايات وترك الجواب عند انقضاء الخطاب والنداء بأحب الأسماء.

آداب الجار — ابتداؤه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عليه السؤال ويعوده في مرضه ويعزيه عند مصيبته ويهنئه في فرحه ويتلطف لولده وعبده في الكلام ويصفح عن زلته ومعاتبته برفق عند هفوته ويغض عن حرمته، ويعينه عند صرخته، ولا يديم النظر إلى خادمته.

آداب السيد مع عبده — لا يكلفه مالا يطيق من خدمته ويرفق به

Marfat.com

عند ضجره ولا يكثر ضربه ولا يديم سبه فيجر أعليه ويصفح عن زلته ويقبل معذرته وإذا أصلح له طعاما أجلسه معه على مائدته وأعطاه لقما من طعامه .

آداب العبد مع سيده — يأتمر لأمره ، وينصحه فى غيبته ، ويبذل له خدمته ويحفظه فى حرمته وبرق على ولده ولا يخونه فى ماله .

آداب السلطان مع الرعية ـ استعمال الرفق وترك التعنيف والفكر قبل الأمر . وترك التكبر على الخاصة مع منع العدوان منهم ، والتودد لى العامة مع مزج الرهبة لهم ، والتطلع على أمور الحاشية واستعمال المروءة مع أهل العلم والتوسعة عليهم وعلى الأصحاب والأقارب ، والرفق فى الجناية ودوام الحماية .

آداب الرعية مع السلطان — قلة الغشيان لبابه ، وترك الاستعانة به إلا لشىء يلزم أمره ، ودوام الهيبة له وإن كان ذا رفق ، وترك الاستجراء عليه وان كان ذا لين وقلة السؤال وإن كان مجيباً ، والدعاء له إذا ظهر ، وترك الكلام فيه والإفشاء إذا غاب .

آداب القاضى — إدمان السكوت واستعمال الوقار وهدوء الجوارح ومنع الحاشية من الفساد والطغيان والرفق بالأراذل والاحتياط لليتيم والتوقف فى الجواب والرفق بالخصوم ومنع الميل إلى أحد الخصمين والموعظة للمخالف ودوام اللجأ إلى الله فى صواب القضاء .

آداب الشاهد — استشعار الأمانة وإظهار الصيانة واستعمال الديانة وترك الخيانة والتثبت فى الشهادة والتحفظ من النسيان وقلة المجادلة للسلطان .

آداب الجهاد ـ صدق النية والعزيمة لله تعالى وبذل الجهود والسخاء

Marfat.com

بالمهجة ونفى شهوة الرجوع والقصد فى أن تكون كلمة الله هى العليا وترك الغلول وقضاء دينه قبل الخروج واستصحاب ذكر الله عند القتال وفى كل حال .

آداب الأسير — لا يؤمل فرجا من غير الله تعالى ولا يبذل نفسه فى معصية الله تعالى ، ولا ييأس من روح الله تعالى ، ويجمع همه بين يدى الله تعالى ، ويعلم أنه بعين الله ولا ينبسط فى مال العدو بما لا يبيحه الله تعالى ، ولا يفزع إلى غير الله تعالى .

آداب جامعة

قال بعض الحكماء من الأدب : ألق صديقك وعدوك بوجه الرضاء من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم ، وتوقر من غير كبر ، وكن فى جميع أمورك فى أوساطها ، ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات ، ولا تقف على الجماعات ، وإذا جلست فترفع وتحذر من تشبيك أصابعك والعبث بخاتمك وتحليل أسنانك وإدخال يدك فى أنفك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطى والتثاؤب ، وليكن مجلسك هادئا وكلامك مقسوما واصغ إلى الكلام الحسن ممن يحدثك بغير إظهار العجب منك ولا مسكنة ولا إعادة وغض من المضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جارتك ولا تتصنع كما تتصنع المرأة ، ولا تتبذل كما يبتذل العبد . وكن معتدلا فى جميع أمورك وتوق كثرة الكحل والإسراف فى الدهن ولا تلح فى الحكايات ولا تعلم بمالك ولدك فضلا عن غيرهم فإنهم

Marfat.com

إن رأوه قليلا هنت عليهم ، وإن رأوه كثيرا لم تبلغ الى رضاهم وأجهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف وإذا خاصمت فتفكر ، وتفكر فى حجتك ، ولا تكثر الإشارة بيدك ، ولا تحث على ركبتيك وإذا هدأ غضبك فتكلم وان بليت بصحبة السلطان فكن منه على حذر ، ولا تأمل من انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشاء ، وإياك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه ولو كان مستعماً لذلك ، وإياك وصديق العافية فإنه أحد الأعداء الك ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك ، وإياك وكثرة المصاق بين الناس فإن صاحبه ينسب الى التأنيث ولا تظهر لصديقك كل ما يؤذيك فإنه متى رأى منك وقعة أعقبك العداوة ولا تمازح لبيباً فيحقد عليك ولا سفيها فيجترىء عليك ، لأن المزاح يخرق الهيبة ويسقط المنزلة ، ويذهب ماء الوجه ، ويعقب الحزن ، ويزيل حلاوة السرور ، ويثير فقه الفقيه ، ويجرىء السفيه ، ويميت القلب ويباعد عن الرب ويعقب الندم ويفتق العزم ويظلم السرائر ، ويميت الخواطر ويكثر الذنوب ، ويبين العيوب نسأل الله تعالى أن يهدينا فيمن هدى ويعافينا فيمن عافى ويتولانا فيمن تولى ويبارك لنا فيما أعطى ويقينا شر ماقضى فإنه لا راد لما قضى ولا يعز من عادى ولا يذل من والى تباركت ربنا وتعالى نستغفره ونتوب اليه ونسأله أن يصلى بأفضل الصلوات كلها على عبده المصطفى وآله واصحابه أعلام الهدى ويسلم تسليما كثيراً والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين آمين .

تمت

Marfat.com

فهرست الكتاب

صحيفة	
	مقدمة فى حقيقة التصوف الذى اتجه الغزالى
١	ترجمة الغزالى
٢	سبب تأليف الغزالى المنقذ
٤	حديث افتراق الأمة
٧	مداخل السقطة
"	مقام الحيرة عند العارفين
١٠	حيرة ديكارت والغزالى
١٤	علم الكلام وتوصيله للحق
١٥	تعطيل الأمة بمسائل علم الكلام
١٦	الفلسفة والفلاسفة
١٧	عدم السير مع الغزالى فى تكفير فلاسفة الإسلام
١٨	خلاصة مبادىء فلاسفة الإسلام
٣٤	مناقشة الشيعة الامامية
٤٣	طرق الصوفية
٤٤	تطور التصوف الإسلامى
٤٧	كيف تسير مع الغزالى فى تصوفه
٥١	حاجة الروح إلى النبوة
٥٧	عود الغزالى إلى العلم
٥٩	الأنبياء أطباء القلوب
٦٣	خروج الغزالى للارشاد
٧٣	عنوان معرفة النفس
٧٣	كيف تأخذ السعادة عن الأنبياء .
٧٥	أخصر طريق للوصول ملاحظة النبي وتعشقه فى الذكر دون روح الشيوخ
٧٧	حقيقة القلب
٧٨	ما يمكن معرفته للبشر من الروح

صحيفة	
٨١	المراقبة بطريقة عملية على نهج الغزالى
٨٣	تمام السعادة على ثلاثة أشياء
٨٣	ما هو دواء أمراض القلب
٨٥	صور قلبك بصورة توصلك إلى الله
٨٦	مبادى الفتوح
٨٧	حقيقة المشيخة فى الصدر الأول
٨٩	لم يصل الغزالى عن طريق الشيوخ
٨٩	لابد للسائر من روح ترافقه
٨٩	حقيقة منهج الغزالى الذى وصل به
٩٥	معنى ترك الدنيا عند الصوفية
٩٧	الذكر بمسبحة الصوفية
٩٩	النية الصادقة ومعناها
١٠٠	حقيقة الإخلاص
١٠٣	ورد الصوفية
١٠٤	المشرف الروحى فى طريقة الغزالى هو النبي لا الشيخ
١٠٥	كيف كان الشيخ عقبة فى الوصول بحث مهم جداً
١٠٥	خلاصة لأركان التصوف
١١١	العلماء بباب السلطان
١١٤	معنى الصوفى والتصوف
١١٥	معنى المشيخة عند السلف الصحبة
١١٧	تقليل الغذاء عند الصوفية
١٢١	أقل مراتب الذكر
١٢٦	آداب دخول المدينة
١٢٧	آداب التاجر
١٢٨	آداب مريد الزواج

Marfat.com

Marfat.com

يطلب من :

مكتبة البندري

٩١ شارع جوهر القائد بسيدنا الحسين بمصر - تليفون ١٨

المطبوعات الآتيـــة

١٠ تفسير جزء عم للعارف بالله الشيخ أبي محمد يوسف بن اسما
وتعليق فضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى أبو العلا المفتش
والإرشاد بالأزهر الشريف .

٢٠ منهاج العابدين إلى الجنة . ومعه الكشف والتبيين في غرور
أجمعين وبداية الهداية لحجة الاسلام الامام أبي حامد محمد الغزالي
عليه الأستاذ الشيخ المرحوم محمد محمد جابر المفتش بالأزهر الشر

٣ مراتب الوجود وحقيقة كل موجود

٣ نسيم السحر للامام الجيلي بتحقيق وتعليق الأستاذ بدوي ط
المدرس بالمدارس الاميرية .

٣ هم بطني عبطني للعارف بالله الجنيهي وتقديم الأستاذ بدوي

٣ اعلام أهل البلد الحرام بأن بيع دور مكة وأخذ الكراء عنها
المكروه والحرام لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود حسن ربيع المد
بالازهر .

٢٠ ديوان خطب ومواعظ الجنيهي ومعه متابعة الأسرار و
الانوار . للعارف بالله تعالى . محمد الجنيهي . الشهير بالمكين

Marfat.com

يطلب من :

مكتبة البندري

٩١ شارع جوهر القائد بسيدنا الحسين بمصر - تليفون ١٨

المطبوعات الآتيـــة

١٠ تفسير جزء عم للعارف بالله الشيخ أبي محمد يوسف بن اسما
وتعليق فضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى أبو العلا المفتش
والإرشاد بالأزهر الشريف .

٢٠ منهاج العابدين إلى الجنة . ومعه الكشف والتبيين في غرور
أجمعين وبداية الهداية لحجة الاسلام الامام أبي حامد محمد الغزالي
عليه الأستاذ الشيخ المرحوم محمد محمد جابر المفتش بالأزهر الشر

٣ مراتب الوجود وحقيقة كل موجود

٣ نسيم السحر للامام الجيلي بتحقيق وتعليق الأستاذ بدوي ط
المدرس بالمدارس الاميرية .

٣ هم بطني عبطني للعارف بالله الجنيهي وتقديم الأستاذ بدوي

٣ اعلام أهل البلد الحرام بأن بيع دور مكة وأخذ الكراء عنها
المكروه والحرام لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود حسن ربيع المد
بالازهر .

٢٠ ديوان خطب ومواعظ الجنيهي ومعه متابعة الأسرار و
الانوار . للعارف بالله تعالى . محمد الجنيهي . الشهير بالمكين

Marfat.com

المنقذ من الضلال

ومعه

كيمياء السعادة والقواعد العشرة والآداب في الدين

للعلامة الامام حجة الاسلام

ابي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي

قدس الله روحه ونور ضريحه

تعليق وتصحيح

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد محمد جابر

المفتش بالأزهر والمعاهد الدينية

حقوق الطبع محفوظة

يطلب من

مكتبة الجندي

بسيدنا الحسين بمصر تليفون ٧٤٥١٨

Marfat.com